الشيعة والسنة ... هذا يكفي!

عنوان مُعَبِّر للفصل الثلاثين (87 صفحة)

من كتاب

سياسات الأمم ولعبة الأقدار

(2010 – رقم:3)

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

المراجع في هذا الفصل موجودة في صفحة المراجع في الكتاب الأصل

جميع الحقوق محفوظة

تنبيه

هناك خطأ في هذا الفصل ويجب التنبيه له: فالمعلومات التي أخذناها عن Paul of Tarsus كانت من المراجع الأجنبية، وكل ذهني وقتها أن بطرس هو الاسم العربي لـ Paul، فكانت قصة Paul الموجودة في الكتاب تبدأ بـ بطرس (Paul of Tarsus). ولكن تبين لي أن الاسم العربي له هو بولس وليس بطرس، وأن بطرس هو الاسم العربي لـ Peter.

وكذلك هناك خطأ آخر ... فـ Paul of Tarsus قد ظهر في هذا الفصل بـ Pual of Tarsus.

ولهذا وجب التنبيه.

الفصل الثلاثون

الشيعة والسنة ... كفاية

كما تم تبيانه في المقالة السابقة فإنه توجد فرصة حقيقية الآن لإقامة الخلافة وردم الفجوة تماما بين الشيعة والسنة. وستكون أحد أعاجيب الأقدار أن ينشق المُسلمون مع انهيار دولة الخلافة الأولى ويجتمع شملهم مع بداية الخلافة الثانية.

وفي هذه المقالة فإن المؤلف يضع بعض الأفكار والخطوط العريضة والاقتراحات في موضوع ردم الفجوة بين السنة والشيعة. وهذه الأفكار موضوعة ضمن النقاط التالية:

* احترام الأنصار.
* الكارت الأخضر.
* تحري الصدق.
* فارس والوقت الناقص
* النظرة الشمولية وأخطاء الإدارة.
* نظرات واقعية.
* لماذا لم يقم الرسول عليه السلام بوضع نظام استخلاف؟
* أفضلية الصحابة.
* مفهوم أهل البيت.
* العمامة الزرقاء.
* تقبيل الأيادي.

* الأسماء.
* الكف عن رفع صور الزعماء.
* الناس تبع لقريش.
* جدال المشككين والمتشددين.
* نظرة إلى الاستنكارات.

❖ احترام الأنصار

لا يوجد أحد من السنة أو الشيعة الجعفرية أو الشيعة الزيدية يتهم الأنصار أو يذكرهم بالسوء. وهنا نقطة الاتحاد التي يراها المؤلف بين جموع المسلمين. فالأنصار كانوا أعمدة دولة الرسول عندما كفرت قريش به وهم الذين قال الله عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر].

وفي الحديث: "قالت الأنصار يوم فتح مكة وأعطى قريشا والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من قريش وغنائمنا ترد عليهم. فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار فقال: ما الذي بلغني عنكم وكانوا لا يكذبون فقالوا هو الذي بلغك قال أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم. لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم" رواه البخاري.

وبالطبع فإن للمهاجرين فضلا حقيقيا وقد قال الله عنهم: ﴿ ...أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾ [الحشر]. ولكن هناك تبريرًا عند الإخوة الشيعة أن سيف على بن أبي طالب كان شديدا على قريش ففضل المسلمون شخصا غير على بن أبي طالب للخلافة. ولكن علاقة الأنصار بعلي بن أبي طالب كانت طيبة لا يشوبها أي ضغينة. ولكنها رضيت ببيعة أبي بكر الصديق إلا سعد بن عبادة وهو صحابي جليل وسيد

الخزرج وشهد بيعة العقبة وشهد غزوة بدر ومعظم الغزوات بعدها وعندما توفي الرسول عليه السلام وجد سعد أن الأنصار أولى من قريش وأنه هو أولى من أبي بكر في خلافة الرسول ولم يبايع أبا بكر ولا عمر حتى توفي في الشام.

فالقول إن الصحابة قد عصوا الرسول عليه السلام وأخفوا وصيته فهذه تهمة تصل إلى أعناق الصحابة كلهم بمن فيهم الأنصار. والأنصار لم تبايع أبا بكر خوفا وهلعا وإنما بايعته بالرضا وكانوا في سقيفة بنى ساعدة أكثر من أربعين رجلا وكانت قريش في تلك السقيفة ثلاثة رجال: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة. وتركت الأنصار سيدها وبايعت أبا بكر. فالنقطة هنا أن المدينة كانت مدينتهم والعدة عدتهم وكان الأمر بيدهم وبايعوا بالتراضي لا بالإكراه. وهذه هي النقطة وهي أن الأنصار بايعت أبا بكر. ولا يظن المؤلف أبدا أن تقوم الأنصار بأعمال الكفر أو الفسوق أو الفجور.

وهذه هي النقطة التي يراها المؤلف بذرة إعادة اللحمة بين المسلمين. وأمل المؤلف أنه كما كان الأنصار الدعامة لدولة الرسول عليه السلام بعد أن خذله الناس، أن يكونوا كذلك الدعامة التي تجمع هذه الأمة الآن.

دعونا نتعمق أكثر في التفاصيل:

عندما بايع الأنصار أبا بكر فإن على بن أبي طالب كان يظن أنه أحق بالخلافة من أبي بكر. وقد قام على بنقاش أبي بكر والأنصار في ذلك. وكان نقاشه يدور على نفس النقطة التي ناقش فيها أبو بكر الأنصار. فقد كان نقاش أبي بكر مع الأنصار أن قريشا أقرب إلى رسول الله وهم أهله، وكان رأي على بن أبي طالب أنه أقرب إلى رسول الله وأنه أحق بهذا الأمر من أبي بكر.

على أية حال فإن موقف الأنصار يقوم بإعطاء الشرعية الاجتهادية لفكرتين:

* لقد بايعت الأنصار أبا بكر ورضيت به وهذا معناه أن بيعة أبي بكر صحيحة وأنه لا توجد وصية أو تصريح من الرسول عليه السلام لعلي بن أبي طالب. ومن

أراد أن يتهم أبا بكر الصديق بالكفر والفسوق والعصيان فعليه أن يتهم معه الأنصار. فسواعد الأنصار كانت مع أبي بكر وأياديها بايعت يده.

* والظاهر من التاريخ أن على بن أبي طالب لم يبايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر (بعد وفاة فاطمة الزهراء). والظاهر أن على بن أبي طالب كان على اقتناع حقيقي أنه الأولى بالخلافة ولم تقم الأنصار بالتعنيف عليه. ولهذا السبب فإن اجتهاد على بن أبي طالب هو اجتهاد جائز. ولكن هذه هي النقطة وهي أن رأي على بن أبي طالب هو اجتهاد منه وقيام الأنصار بمخالفة هذا الاجتهاد معناه أن اجتهاده لم يكن ملزما للمسلمين.

وبالتالي يوجد هناك اجتهادان شرعيان أولهما أن الخلافة للمسلمين يختارون من يشاءون لها والاجتهاد الثاني أن أهل البيت هم أولى بالخلافة من غيرهم.

وهنا صلب الموضوع وهو وجود اجتهادين شرعيين. وقيام المسلمين بمخالفة اجتهاد على بن أبي طالب ليس كفرا ولا فسقا ولا عصياناً وإلا فلنقم جميعا بشتيمة الأنصار واتهامهم.

دعونا نتعمق قليلا في الفقرة السابقة:

غلبة الظن عند المؤلف أن سيدنا على بن أبي طالب كان على اقتناع حقيقي أنه أولى بالخلافة من غيره وهناك أدلة على ذلك:

قال رسول الله عليه السلام لعلي بن أبي طالب: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي" رواه مسلم.

وقال زيد بن الأرقم: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على

كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته، قال نساؤه من أهل بيته؟ ولكن أهل بيته من حرم الصدقة من بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم" رواه مسلم.

وبالنسبة إلى حديث المنزلة (الحديث الأول) فإنه لا يوجد في النص تصريح واضح بالاستخلاف. فالنص يتحدث عن منزلة بين الرسول عليه السلام وعلي. وليس من المستبعد أبدا أن يكون سيدنا على بن أبي طالب هو أقرب الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ليس من المستبعد أن يكون هارون عليه السلام هو أقرب الرجال إلى موسى عليه السلام. كما أنه ليس مستبعدا أن يكون سيدنا على بن أبي طالب هو أكثر الصحابة علما. ولكن إذا ترك الرسول عليه السلام الأولى في العمل فإن جبريل يأتيه وينبهه وهذه الميزة ليست موجودة عند سيدنا علي. وبالتالي فأن يكون سيدنا على أعلم الناس بعد الرسول عليه السلام لا يعني أنه معصوم عن الخطأ.

وأفضل دليل أن اجتهاد على بن أبي طالب غير ملزم للمسلمين هو تصرف الأنصار وقد قال الله عنهم: ﴿ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر]. وقال الرسول عليه السلام لهم "لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم" رواه البخاري.

وكذلك بالنسبة إلى الحديث الثاني فلا يوجد كذلك أي تصريح بالاستخلاف وإنما هو توصية وإرشاد. وإذا نظرنا فإن ما حدث في سقيفة بني ساعدة وما بعدها لم يكن معاداة من الصحابة لعلي بن أبي طالب وإنما اختلاف معه ولكن ما حدث بين بني أمية وأهل البيت كان معاداة وظلماً.

يجب التنويه هنا لوجود أحاديث أخرى ولكنها ضعيفة في السند: فهناك أحاديث كثيرة مروية عن عطية العوفي (عطية بن سعد بن جنادة) عن أبي سعيد

الخدري عن الرسول عليه السلام قال: "إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبدا أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إلا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" رواه أحمد. ورتبة عطية عند ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرا.

وهناك حديث غريب (أي ذو سلسلة واحدة من الرواة) أن الرسول عليه السلام قال: "إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي" رواه الترمذي وأحمد. ولكن في سند الرواية يزيد الرشك بن أبي يزيد ورتبته عند ابن حجر: ثقة عابد وهم من لينه.

وهناك أحاديث كثيرة وبروايات عدة عن قول الرسول عليه السلام عن علي: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ولكن جميع هذه الروايات فيها ضعف في السند إلا رواية واحدة وجدها المؤلف عند أحمد وهي:

"حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع على رضي الله تعالى عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت وكأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت عليا رضي الله تعالى عنه يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له" رواه أحمد.وجميع الرواة في السند ثقة إلا فطر (بن خليفة) فرتبته عند ابن حجر: صدوق.

ولكن هذا الحديث كذلك ليس فيه أي تصريح بالاستخلاف.

وبالتأكيد هناك أحاديث أخرى لم يستطع المؤلف الإحاطة بها وهناك أحاديث عند الإخوة الشيعة قد لا نرضى بسندها. ولكن القول الفصل هنا أن ما فعله الأنصار وما اختاروه لا يمكن أن يكون كفرا أو فسوقا أو عصيانا.

ولهذا السبب فإن المؤلف لا ينكر أبدا الشرعية في نظرة الشيعة الزيدية: فهم يرون أن بيعة أبي بكر صحيحة وأنه تجوز بيعة المفضول ولكن عليا أولى بالخلافة من أبي بكر وأن بني هاشم أولى بالخلافة من غيرهم. وهذا الرأي هو اجتهاد شرعي له شبهة دليل قوية ولكن المؤلف وجد ضمن اطلاعه على التاريخ أن الحكم الوراثي آفة في نظام الحكم ولهذا فهو يخالفه وله في ذلك حجة وهو اختيار الأنصار ووجهتهم.

من المناسب هنا الانتباه إلى البعض من قصص بني إسرائيل، ومع إدراك المؤلف أن قصص بني إسرائيل ليست حجة شرعية وأن الكثير من قصصهم ليست صادقة إلا أن بعض القصص قد تساعد على الانتباه:

لم يكن خليفة موسى عليه السلام أحدًا من أبنائه ولا أحدًا من أبناء أخيه هارون وإنما رجل بعيد اسمه يوشع بن نون. وكذلك فقد أخذت سلالة هارون عليه السلام الإمامة الدينية(Priesthood) والتي كانت مستقلة تماما عن القيادة السياسية. وكذلك فإن هناك الكثير من أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا ملوكا.

نقطة أخيرة هنا عن مفهوم مصطلح الشيعة:

كان معظم الأنصار مع على بن أبي طالب في صفين والنهروان وكان أول رجل بايع الحسن بن على بن أبي طالب هو من الأنصار وهو قيس بن سعد بن عبادة. وبايع أبو حنيفة النعمان الإمام زيد وكذلك بايع أبو حنيفة النعمان الإمام محمد النفس الزكية. وهناك الكثير والكثير من المسلمين الذي بايعوا وقاتلوا مع أئمة بني هاشم.

والأنصار الذين قاتلوا مع على في صفين لم يقاتلوا معه لأنه أولى بالخلافة من أبي بكر وإنما لأنه الخليفة الشرعي في ذلك الوقت وكان يقاتل الباغين. وهناك الكثير من المسلمين من قاتل مع أئمة بني هاشم وليس لأنهم أولى بالخلافة من غيرهم وإنما لأنهم قادة المعارضة ضد الطغيان. ولهذا السبب فإن الشيعة ينقسمون إلى ما يلي:

الشيعة ألفا. وهم المسلمون الذين قاتلوا وساندوا وكانوا مع الأعلام من بني هاشم (علي، الحسن، الحسين، زيد، محمد النفس الزكية، إبراهيم بن عبد الله، جعفر

الصادق، موسى الكاظم، الحسن الأطروش وغيرهم) وليس لأن بني هاشم أولى بالخلافة من غيرهم وإنما لأنهم كانوا ذلك الوقت قادة المعارضة ضد البغي والظلم والطغيان. والمؤلف ودون أي شك مع هؤلاء الأئمة.

الشيعة بيتا. وهم المسلمون الذين وجدوا أن بيعة أبى بكر صحيحة ولكن عليا كان أولى منه وأن بني هاشم أولى بالخلافة من غيرهم. وهؤلاء هم الإخوة الزيدية ولهم شبهة أدلة قوية تساند وجهة النظر عندهم.

الشيعة جاما. وهم المسلمون الذين وجدوا أن أبا بكر وعمر وغيرهم قد اغتصبوا الخلافة من على بن أبي طالب وهؤلاء هم الإخوة الجعفرية.

ومن المناسب هنا ذكر قصة من تاريخ المسيحيين: فعندما ارتفع المسيح عليه السلام فقد أخذ الإمامة من بعده رجل من أقربائه اسمه يعقوب الرشيد (James the Just) وتسمى أتباع المسيح بالنصارى نسبة إلى الاسم المعروف للمسيح وهو عيسى الناصري (نسبة إلى مدينة الناصرة). وبعد ثلاثين سنة قام شخص اسمه بطرس(Pual of Tarsus) بمخالفة يعقوب في موضوع الالتزام بقوانين موسى عليه السلام وقام بطرس بخلق ديانة جديدة سماها المسيحية (نسبة إلى المسيح). وبعد ٣٠٠سنة اعتنق قسطنطين (إمبراطور روما) الديانة المسيحية. ولكن كان هناك ثلاثة مذاهب متناقضة في المسيحية وهي المذهب الروماني (الكاثوليك) والمذهب اليوناني (الأرثوذكس) ومذهب آريوس. وتوافق الرومان واليونان على فلسفة الثالوث (وهي فلسفة الأب والابن والروح القدس أنهم ثلاث وواحد في الوقت نفسه) وتوافقوا كذلك على ألوهية المسيح. وأما آريوس فقد كان يقول إن المسيح هو مخلوق وعبد لله. ونحّى الرومان واليونان خلافاتهم جانبا واتحدوا ضد آريوس وقام قسطنطين بعمل مؤتمر نيقية (The Counceil of Nicaea) والذي تم فيه إشهار آريوس أنه كافر وهرطيق وزنديق. ولكن كان من سخريات القدر أن يُؤمن قسطنطين قبل سنتين من وفاته بالمذهب الآريوسي.

وهنا الاستخفاف بالعقول: فآريوس في المذاهب المسيحية هو كافر وهرطيق وزنديق ولكن قسطنطين هو مؤمن قديس ونبيل. وهذه سخرية لأن آريوس وقسطنطين هم في قارب واحد، فالقيام بشتيمة الأول يتطلب شتيمة الثاني.

وكذلك بالنسبة إلى اغتصاب الخلافة من على بن أبي طالب. فإنه إذا حدثت عملية اغتصاب للخلافة فإن جميع الصحابة متهمون فيها وكلهم (الأنصار والمهاجرون وعمر وأبو بكر) في قارب واحد. فلا يمكن اتهام عمر وأبى بكر بالفسق والعصيان ووصف الأنصار بالإيمان والعدالة. فإما جميعهم عدول أو جميعهم متهمون.

❖ الكارت الأخضر

أرسل حاطب بن أبي بلتعة بكتاب مع جارية إلى قريش يحذرهم فيها من نية الرسول عليه السلام لفتح مكة. وبعث رسول الله عليه السلام على بن أبي طالب والزبير بن العوام وأخذوا الكتاب واستدعى الرسول حاطبا وسأله عما فعل وعفا عنه. وفي رواية البخاري عن على بن أبي طالب: "فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

إن الناس والمسلمين والصحابة هم بشر ولهم الظاهر وعليهم الظاهر. فإذا كان ظاهر أعمالهم الخير فالنظرة لهم هي نظرة تقدير أما إذا كان ظاهر أعمالهم الشر فالنظرة لهم هي نظرة اتهام. والدليل على ذلك هو قول الرسول عليه السلام: "يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري" رواه البخاري.

ولكن هناك فئة خاصة من المسلمين عندهم الكارت الأخضر وهؤلاء هم أهل بدر. والظاهر الحسن من أعمال هؤلاء له نظرة التقدير والظاهر غير الحسن من أعمال هؤلاء له نظرة التبرير. وهذا معناه أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسعد بن عبادة وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وثلاثمائة رجل

آخرين هم من أصحاب الكارت الأخضر. أما معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم ليسوا من أصحاب الكارت الأخضر.

وهذا معناه أن قتال الزبير بن العوام لعلي بن أبي طالب يجب تبريره بنية خير وأما قتال معاوية بن أبي سفيان لعلي بن أبي طالب فيجب أخذه بالظاهر من أعماله.

وأما بالنسبة إلى عائشة بنت أبي بكر (وباقي أزواج الرسول عليه السلام) فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب].

وبالنسبة إلى المؤلف فهو لن يذكر أمه إلا بكل الخير حتى وإن جلدت ظهور المسلمين. وليقم كل مسلم بالحديث عن أمه بالشكل الذي يرضاه.

❖ تحري الصدق

يجب هنا التذكير بأمر قد تم تكراره في هذا الكتاب وهو ضرورة عمل مسافة بين النظرة العقلية المجردة واتخاذ الموقف. فالنظرة العقلية المجردة يجب ألا تتأثر بالمبادئ والمشاعر والعواطف وإنما هي نظرات مجردة. وبعدها يأتي اتخاذ الموقف وعندها يدخل موضوع المبادئ والمشاعر والعواطف.

بالطبع فإن ما سبق هو سهل التعبير ولكنه ليس سهل التطبيق:

ما هو الموقف من أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب؟

دعونا نبدأ من النظرة العقلية المجردة:

إن نظرة أبي لؤلؤة لعمر بن الخطاب هي النظرة إلى قائد جيش الاحتلال. فالمسلمون استطاعوا وبضربات سريعة احتلال فارس وتحطيم الدولة الساسانية. ولم تكن الدولة الساسانية في طور الانهيار وإنما كانت في عليائها ثم جاء المسلمون وقاموا بإنهائها.

ويجب الانتباه إلى أن فارس لم تكن كمصر وبلاد الشام. فالقبط في مصر والعرب في بلاد الشام كانوا ينظرون إلى الرومان نظرة النفور، أما في فارس فقد كانت العلاقة بين المحكوم (أهل فارس) والحاكم (كسرى) علاقة انسجام. وهنا كانت الصدمة لأهل فارس من انهيار دولتهم وهنا جاءت الكراهية الشديدة لعمر بن الخطاب.

وهنا النظرة العقلية وهي أن عملية أبي لؤلؤة هي عملية انتقام متعلقة بوطنه (فارس). وقد حدثت مثل هذه القصص مع المسلمين كعملية سليمان الحلبي في اغتيال كليبر (الحاكم الفرنسي في مصر – ١٤/ ٦/ ١٨٠٠) وعملية يوسف حافظ يوسف نزال في اغتيال الحاكم الإنجليزي في الجليل (٢٦/ ٩/ ١٩٣٧) وعملية على أحمد أبو الرُّب في اغتيال الحاكم الإنجليزي في جنين (٢٤/ ٨/ ١٩٣٨) وعمليات أخرى كثيرة.

وهنا تكون النظرة العقلية للأمور. فالنظرة العقلية يجب أن تكون متشابهة للقصص المتشابهة.

كانت تلك هي النظرة العقلية، وأما اتخاذ الموقف فإن أهل فارس وقتها قد نظروا إلى أبي لؤلؤة على أنه بطل في حين أن موقف المسلمين من أبي لؤلؤة هو موقف الكراهية والجريمة. وبالنسبة إلى موقف المؤلف فإن ما فعله أبو لؤلؤة كان جريمة سياسية وعقوبة هذا العمل بالطبع هى الإعدام.

ولكن هنا يجب أن تكون النظرة صادقة للأمور، فما فعله أبو لؤلؤة ليس نذالة ولا خسة ولا حقارة وإنما هو جريمة سياسية ضمن وجهة نظر أحد الأطراف (المسلمين)، وعمل بطولي ضمن وجهة نظر الطرف الآخر (فارس ذلك الوقت). وكذلك بالضبط ما فعله سليمان الحلبي. فهذا ليس خسة ولا نذالة ولا حقارة وإنما هو في نظر المسلمين بطولة وشرف وعزة وإباء.

وهنا فإن المؤلف يعيد ويكرر بضرورة عمل مسافة بين النظرة العقلية المجردة واتخاذ الموقف.

عودة إلى موضوع المقالة:

إن الهدف من من الحوار بين السنة والشيعة هو لردم الفجوة بينهما. والحوار سيتعرض لبحث الكثير من القصص والحكايات. وستكون المشكلة الكبرى عندما يبدأ فريق الحوار (الجعفرية والزيدية والسنة) بمحاولة الإفحام لأن محاولات الإفحام ستؤدي إلى تكوين فقاعات الهواء في اللحام وهذا سيؤدي إلى فك اللحام بعد فترة من الزمن.

وضمن وجهة نظر المؤلف فإن أعضاء الفريق بحاجة لأن يكونوا كأحمد بن حنبل وليس كأبي حنيفة النعمان والشافعي. وبالطبع فإذا كان الحوار مع الشيوعيين أو العلمانيين أو الكافرين فأنت بحاجة إلى رجال كأبي حنيفة النعمان والشافعي وليس كأحمد بن حنبل، ولكن عندما تريد أن تردم فجوة بين المسلمين فأنت بحاجة إلى رجال كأحمد بن حنبل وليس كأبي حنيفة النعمان.

والسبب أن الله قد أنعم على أبي حنيفة النعمان والشافعي بحضور الجواب وكانت أجوبتهم في غاية الإفحام في حين كان أحمد بن حنبل في غاية الذكاء ولكنه لم يكن يجيب إلا فيما يعلم. وهذه الصفة هي المطلوبة هنا.

فالهدف هو معرفة الصحيح أيا كان هذا الصحيح دون إفحام أو انتقاص. وإذا كان هناك سؤال لأحد الأعضاء ولم يكن بالاستطاعة الإجابة عليه فيجب تأجيل الجواب للجلسة التالية. وهنا ضرورة أن يكون الحوار علنياً ضمن بث حي ومباشر فهو الضمانة أن أعضاء الفريق يتصرفون بجدية وأنهم لا يأخذون الأمور ارتجالا ومداراة.

وضمن هذا الحوار فإنه سيتم التعرض للكثير من القصص والحكايات. والكثير منها من الصعب تفسيره بشكل مرض ولكن الأولى هو سماعها وعدم إهمالها لأن سماعها أفضل بكثير من بقائها بذرة شقاق دفينة. وإحدى القصص التي سيتم نقاشها بالتأكيد هو دعوات فاطمة الزهراء على أبي بكر الصديق وشدة عمر بن الخطاب في فرض البيعة على على بن أبي طالب.

ومن الضروري عدم اللجوء إلى تأويلات سطحية أو إنكار القصص ذات احتمالية ثبوت عالية. ودعوات فاطمة الزهراء وشدة عمر بن الخطاب لها احتمالية ثبوت عالية وموجودة في الكتب.

وبالنسبة إلى شدة عمر بن الخطاب فهو أمر غير مستبعد فعمر بن الخطاب لم تتأن طباعه إلا بعد أن استلم الخلافة. وله شواهد كثيرة في شدة التصرف، وإذا قام القارئ بالنظر إلى أكثر العبارات التي ذكرها عمر بن الخطاب في حياة الرسول عليه السلام فإنها (على غلبة تخمين المؤلف) ستكون "دعني أضرب عنقه".

وبالطبع فإن شدة عمر بن الخطاب كانت مفيدة جدا؛ فمن الضروري أن يتصف الوزير بصفات مختلفة عن صفات القائد كي تكون لجنة القيادة ذات مهارات متكاملة. فإذا كان القائد لينا فمن الضروري أن يكون الوزير شديدا، وإذا كان القائد شديدا فمن الضروري أن يكون الوزير لينا.

وأحد الشواهد الواضحة لشدة عمر هو الجرأة في نقاش الرسول عليه السلام في موضوع الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول: "فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه فقال أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال أنا بين خيرتين قال (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم). فصلى عليه فنزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا). رواه البخاري.

فشدة عمر بن الخطاب غير مستبعدة وخصوصا أنه ربما شعر أن امتناع على بن أبي طالب عن البيعة قد تؤدي إلى شق صفوف المسلمين. وبالنسبة إلى دعوات فاطمة الزهراء فهي قصة ممكنة؛ فالصدور كانت حامية ذلك الوقت.

الآن... ما هو موقف المؤلف من هذه القصص؟

كما سبق ذكره فإن بعض القصص السابقة (كالتي رواها ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة) لها احتمالية ثبوت عالية. ولكن كما يعلم المؤلف هذه القصص فكذلك علمتها الأنصار قبله. وكما سكتت الأنصار عنها فإن المؤلف سيسكت عنها كذلك. ويجب التنبيه هنا إلى أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب هم من أصحاب

الكارت الأخضر ولو كانت دعوات فاطمة الزهراء لرجال ليسوا من أصحاب الكارت الأخضر لكان للمؤلف موقف آخر. ولكن للمؤلف وجهة نظر واضحة لأصحاب الكارت الأخضر.

على أية حال فإنه من الضروري النظر إلى جميع الحكايات ومحاولة تحديد احتمالية ثبوتها وبكل تحرٍ للصدق والأمانة ومن ثم حوارها حتى وإن لم يكن بالإمكان إيجاد التفسير الكافي لها. وهذا أفضل بكثير من القيام بترك الحكايات كبذور شقاق دفينة.

ويوجد نقطة فرعية هنا ومن المناسب التعرض لها وهو موضوع سليمان الحلبي:

لنفترض أن دولة الخلافة الإسلامية قد قامت وأنه قامت حرب بينها وبين كوريا.

الآن...لا يوجد عداء سابق بين كوريا والمسلمين كما لم تقم كوريا بأية أعمال إجرامية ضد المسلمين؛ ولهذا السبب فإن الحرب يجب أن تكون حربا نبيلة بين المسلمين وكوريا.

لنفترض أن كوريا استطاعت خداع الجيش الإسلامي بذكاء وجذبته إلى فخ وقامت بالانقضاض عليه وقتل الكثير من الجنود المسلمين. هذه الهزيمة والخسارة ليست سببا للحقد والكراهية؛ فالعدو استطاع خداع الجيش الإسلامي وأخذ الفرصة. ولهذا السبب فإن الحرب يجب أن تبقى نبيلة، وإذا أراد المسلمون الانتقام فيجب أن يكون الانتقام في حدود المعركة وليس خارجها.

ولنفترض كذلك أن كوريا قامت بإعدام الأسرى المسلمين بعد المعركة. هذا كذلك ليس سببا للحقد والكراهية فقد قام خالد بن الوليد بعد معركة أليس بجمع الأسرى الفرس وأعدمهم. وعمل خالد بن الوليد كان ضمن حدود بطش ألفا وهو ضمن حدود المعركة. ولهذا السبب فإن الحرب بين المسلمين وكوريا يجب أن تبقى حربًا نبيلة. وإذا أراد المسلمون الانتقام فيجب أن يكون الانتقام كذلك ضمن حدود المعركة وليس خارجها.

ولكن الحرب النبيلة تنتهي تماما بين المسلمين وكوريا وتتحول إلى حرب غير نبيلة في اللحظة التي تقوم فيها كوريا بالتعذيب والانتهاك والإهانة وقتل المدنيين العزل وقتل الأطفال. وهنا تكون قواعد الحرب مختلفة تماما.

وهنا نرجع إلى موضوع سليمان الحلبي. فقد احتل الفرنسيون مصر وقامت الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين وقام سليمان الحلبي باغتيال كليبر الحاكم الفرنسي في مصر.

الآن... قيام الفرنسيين بإعدام سليمان الحلبي يجب ألا يثير الحقد والكراهية. فالموضوع هو حرب، وسليمان الحلبي كان يتصرف كجندي في المعركة وقام بقتل العدو وأمسك العدو به وحكموا عليه بالإعدام. فلا يوجد عند المؤلف أية نظرة حقد لموضوع الإعدام. ولكن الجريمة البشعة التي فعلها الفرنسيون مع سليمان الحلبي ورفاقه هي التعذيب والحرق والإهانة وتشويه الجثة. وهذه جرائم حقيقية وهي أحد الأمور التي يجب على دولة الخلافة أن تقوم بتصفية حساباتها مع فرنسا وخصوصا عندما نعلم أن الفرنسيين قد أخذوا جثمان سليمان الحلبي معهم إلى فرنسا، وهو معروض الآن وبكل وقاحة في متحف التاريخ الطبيعي بباريس.

❖ فارس والوقت الناقص

كما تم الحديث فيه فإن فارس لم تكن حضارة آيلة للسقوط وإنما كانت في ريعان العمر. وهنا كانت الصدمة لأهل فارس في سرعة سقوط الدولة واحتلالها. وهنا كانت الكراهية الشديدة من أهل فارس لعمر بن الخطاب.

وهذه المشكلة ليست ضخمة ويمكن تجاوزها. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن مدة ٨٠ سنة من العدل النسبي كافية تماما لدمج الأمة المغلوبة في الأمة الغالبة.

لنتعمق قليلا في موضوع مدة الـ ٨٠ سنة:

لنفترض أنه حدث انهيار اقتصادي واجتماعي وسياسي شديد القسوة في المجتمع.

* بعد١٠سنوات (عقد) من هذا الحدث سيكون هناك إزاحة في الأجيال والإدارة. فمساعد المدير سيصبح مديرا وصبي المعلم سيصبح مساعد المعلم وهكذا.

* بعد٢٠ سنة (عقدان) سيكون هناك تبديل للأجيال والإدارة. فالمدراء الكبار اليوم سيحالون إلى التقاعد بعد عشرين سنة ويحل محلهم مدراء من الأجيال التالية.

* بعد٤٠ سنة (قلبة) سيكون المدراء والأجيال الفاعلة في المجتمع هم أناس لم يشهدوا الانهيار الاقتصادي ولكن ما زال يوجد في المجتمع أناس قد شهدوا ذلك الانهيار.

* بعد ٨٠ سنة (قلبتان) فإن المدراء والأجيال الفاعلة في المجتمع هم أناس لم يشهدوا الانهيار الاقتصادي ولا يوجد في المجتمع أي شخص شهد هذا الانهيار.

ولهذا السبب فإن ٨٠ سنة (على الأكثر) من العدل النسبي كافية لازالة الآلام وتجاوز المشكلات في المجتمع.

وهذا التحليل منطقي ولكن فكرتها جاءت من تحليل تاريخي. فقد كانت خيبة الأمل لهانيبال كبيرة جدا لعدم تمرد الولايات الإيطالية ضد روما. فقد قامت روما بفرض وجودها وثقافتها على الولايات الرومانية وكانت خطة هانيبال الأساسية هي تحرير الولايات الإيطالية واستخدامهم في حلف ضد روما. ولكن الذي حدث أن معظم الولايات الإيطالية قد بقيت على ولائها مع روما ضد هانيبال.

وهنا السؤال: فلماذا لم تقم الولايات الإيطالية باغتنام الفرصة والانقلاب على روما؟؟

والجواب (على غلبة ظن المؤلف) أن مستوى العدل النسبي لروما كان مرتفعا وكان لروما الاهتمام الواضح لإثبات مصداقيتها. واستطاعت روما فرض سيطرتها على إيطاليا في عام ٢٧٣ ق.م، وقام هانيبال بغزو إيطاليا في عام ٢١٨ ق.م. وهذا معناه أن ٥٥ سنة من العدل النسبي والمصداقية كانت كافية لدمج الولايات الإيطالية مع بعضها البعض.

ومن هذه الملاحظة جاءت الفكرة الفلسفية السابقة. و٨٠ سنة هي الحد الأعلى فقد تم دمج بلاد الشام ومصر بأقل من٣٠سنة ولكن موضوع فارس موضوعاً مختلفاً حيث إن فارس كانت حضارة عظمى ومركزا أساسيا في الخريطة الدولية ذلك الوقت. ووجهة النظر هنا أن فارس كانت بحاجة إلى ٨٠ سنة من العدل والمصداقية كي تلتحم تماما مع جسم الأمة الإسلامية وتتجاوز الآلام السابقة.

وقد كان من حسن الطالع والذكاء الحقيقي لعلي بن أبي طالب هو التصرف الذي قام به مع بنات يزدجرد (كسرى فارس). فقد تم أسر ثلاث بنات ليزدجرد وكان عمر بن الخطاب يريد بيعهن كغيرهن ولكن على بن أبي طالب اعترض وأخذهن وأعتقهن وزوج إحداهن لابنه الحسين والأخرى لعبد الله بن عمر بن الخطاب والثالثة لمحمد بن أبي بكر الصديق. وكأن وجهة النظر عند على بن أبي طالب أن بنات الكرام يتزوجن أبناء السادة.

دعونا الآن نضع نموذجا للذي حصل في فارس:

* هناك صدمة من سقوط الدولة ووقوعها تحت الاحتلال.

* هناك كراهية شديدة من الفرس تجاه المسلمين (قوات الاحتلال) ولعمر بن الخطاب (ملك الجيوش المحتلة).

* تزوجت إحدى بنات يزدجرد من حفيد نبي العرب وتزوجت باقي بناته من أبناء ملوك العرب. وهذا بالطبع أثلج صدور أهل فارس فبنات ملوكهم لم يتعرضن للإهانة.

* عدالة المسلمين وحسن أخلاقهم قد دفعت الكثير من أهل فارس إلى الدخول فى الإسلام . وهنا أصبح في المجتمع فكرتان. فمن الجهة الأولى فهناك كراهية للاحتلال ولقيادة الاحتلال ومن الجهة الأخرى فهناك اهتمام وتسامح من أهل فارس للمسلمين. وهذا تطور إيجابي. فقبل هذا التطور كان يوجد فقط فكرة واحدة وهو كراهية الاحتلال.

* للأسف فإن عدالة المسلمين لم تستمر وقتا طويلا وإنما استمرت مدة ٢٤ سنة وبعدها جاء بنو أمية وبدأت تعاملات الظلم وكانت معركة كربلاء (بعد ٤٥ سنة من احتلال المدائن) صدمة لأهل فارس فالحسين هو حفيد نبي هذا الدين الجديد لهم، كما أنه زوج ابنة ملكهم. واستفحل الظلم تماما في أهل فارس بحكم الحجاج بن يوسف بعد ٥٩ سنة من سقوط المدائن.

وهناك نظرة فلسفية عن مواقف الإنسان وهي أن الإنسان يتخذ القرار بقلبه ويبرره بعقله. وهذا ما حدث مع أهل فارس. فقد كان هناك كراهية لعمر بن الخطاب بسبب مسئوليته عن احتلال بلادهم وفي الوقت نفسه بدأ الكثير من أهل فارس بالدخول إلى الإسلام . وكان من الطبيعي جدا للمسلمين الجدد من أهل فارس النظر بمحبة إلى على بن أبي طالب وابنه الحسين حيث إن ابنة ملكهم هي زوجة الحسين. ولكن عدالة المسلمين تغيرت بعد ٢٤ سنة وهذه لم تكن مدة كافية لدمج أهل فارس دمجا كاملا مع العرب. وجاءت معركة كربلاء لتقوم بشق صفوف المسلمين إلى نصفين.

وحيث إنه لم تتمتع فارس بمدة كافية من العدل النسبي لتجاوز الآلام والاندماج مع العرب فإن هذا أدى إلى استمرارية الكراهية لعمر بن الخطاب ولكن تغيرت أسباب الكراهية. فلم تعد الكراهية بسبب الاحتلال وإنما بسبب اغتصابه للخلافة من على بن أبي طالب. وكان هذا التبرير ضرورياً للتوفيق بين الإسلام وبين هذه الكراهية.

وهذا أمر منطقي وضمن قوانين ديناميكيات المجتمع. وهذا هو المقصود بالفلسفة السابقة أن الناس تقرر بقلبها وتبرر بعقلها. والمجتمعات لا تتصرف غريزيا حسب الحق وإنما تتصرف حسب الحركة الديناميكية.

❖ النظرة الشمولية وأخطاء الادارة

لا يوجد عند المؤلف أي شك في صدق فاطمة الزهراء في موضوع فدك خيبر. وفي الوقت نفسه فإنه لا يوجد أي شك عند المؤلف في صحة قضاء أبي بكر الصديق. فالنقطة هنا أنه توجد مسافة واضحة بين الاقتناع والمنهج القضائي. وأفضل مثال على ذلك هو القصة المشهورة بتحاكم على بن أبي طالب (وهو خليفة المسلمين) مع

أحد اليهود في درع كانت لعلي وافتقدها ووجدها عند ذلك اليهودي واحتكما إلى شريح القاضي. ولم يكن عند شريح أي شك بصدق على بن أبي طالب ولكن القضاء له منهج وآليات واضحة ومنعزلة عن القناعات الشخصية ولهذا السبب فقد حكم شريح لليهودي.

وهذا هو موقف المؤلف من موضوع فدك خيبر من وجهة نظر قضائية. ولكن ضمن نظرة شمولية فإن وجهة نظر المؤلف أن سيدنا أبا بكر الصديق قد أخطأ في التصرف. فالأمور كانت حامية والصدور كانت متوترة وذلك بسبب موضوع الخلافة. وكان الأولى لأبي بكر أن يتصرف بما يخفف فيه الاحتقان. ووجهة نظر المؤلف أن التصرف الأولى كان أحد الخيارات التالية:

* أن يقضي أبو بكر بالحق وعندما تذهب فاطمة الزهراء يقوم باستدعائها ويهبها فدك خيبر. وهذا ضمن صلاحياته كخليفة. وقد فرض الله في الزكاة بابا لتأليف القلوب، والأولى هو تأليف قلب ابنة الرسول عليه السلام.
* أن يطلب أبو بكر من على بن أبي طالب أن يقضي لفاطمة بما يراه حقا.
* أن يختار أبو بكر عشرة من كبار الأنصار وأن ينظروا في طلب فاطمة الزهراء ويعمل برأيهم.

فالنقطة هنا أنه لم يكن من الأولى (والأفكار مرتبكة والصدور متوترة) أن يقوم سيدنا أبو بكر الصديق (وهو طرف في مشكلة الخلافة) بتفشيل فاطمة الزهراء (وهي طرف آخر في مشكلة الخلافة).

وكذلك فإن الأنصار والمهاجرين هم أفضل المسلمين بعد الرسول عليه السلام وقد وصل لهم الشرف الجزيل بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. ولكن التقوى العالية لا تمنع الصحابة من القيام بأخطاء الإدارة. فالإدارة

تتعلق بالخبرة والتجربة والمهارة. وعندما كان الرسول عليه السلام يقوم بالخطأ في الإدارة فإن جبريل كان يأتيه وينبهه، وهذه الميزة ليست موجودة عند الصحابة. ولهذا السبب فإنه من الضروري النظر بصدق وأمانة إلى قصص الخلاف وفي الوقت نفسه فإنه من الضروري النظر بصورة شاملة للموضوع والانتباه لأخطاء الإدارة. وبالطبع كانت هناك أخطاء كثيرة في الإدارة ولولا هذه الأخطاء لما استطاع معاوية أو ابنه يزيد أو عبد الملك بن مروان أو الحجاج بن يوسف استلام السلطة والتسلط على رقاب الناس.

وهنا سيتم ذكر البعض من هذه الأخطاء في الإدارة والتي انتبه لها المؤلف:

* لقد أعطى الرسول عليه السلام إمارة الجيش لأسامة بن زيد للتوجه إلى الشام وجاء في الحديث "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أمّر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وايم الله لقد كان خليقا للإمارة وإن كان أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى من بعده" رواه البخاري.

  وبعد هذه الغزوة فإنه لم يقم أحد من الخلفاء الراشدين باستعمال أسامة بن زيد أو إعطائه أية مسئوليات إدارية. وبالنسبة للمؤلف فهذا أمر يثير التعجب والاستفهام.

* كما تم ذكره سابقا فقد كان الأولى لأبي بكر الصديق أن يقوم بتخفيف الاحتقان مع فاطمة الزهراء أو على الأقل ألا يكون طرفا في القضاء في موضوع فدك خيبر.

* أول عمل قام به عمر بن الخطاب كان عزله لخالد بن الوليد وقد وصل كتاب العزل إلى أبي عبيدة في منتصف المعركة. وهذا خطأ إداري حقيقي ولكن قام أبو عبيدة بإخفاء الكتاب حتى انتهت المعركة. والنقطة هنا أن التغيير الجذري للقيادة في منتصف المعركة ليس بالأمر السهل.

* وكذلك فقد أخطأ عمر بن الخطاب بإهمال المثنى بن حارثة وتعيين أبو عبيدة الثقفي لقيادة الجيش في العراق. وأبو عبيدة كان شديد التقوى وشديد الشجاعة ولكن هذه ليست صفات كافية للقيادة العسكرية. والذي حدث أنه في معركة الجسر قد أصر على عبور الجسر نحو الفرس كي لا يتم اتهام المسلمين بالجبن وقد رد التوصيات التي نصحها له كبار القوم وتقدم الجيش عبر الجسر وكانت الهزيمة عليهم. ولكن الأمر الواضح عند عمر بن الخطاب أنه سريع التعلم وقد أصبح عمر بعد معركة الجسر حريصا في اختياراته للقيادات.

يجب الانتباه هنا لمهارات عمر بن الخطاب القيادية. فعمر كانت له مهارة غريزية في التخطيط الاستراتيجي والنظرة الشاملة للأمور. ولكن في كثير من الأحيان فإن الشخص الذي له مهارة ضخمة في اتجاه يكون عنده ضعف في الاتجاه المقابل. وهذا الضعف يحتاج إلى المراس والخبرة والتدريب كي يتم الإحاطة به. وعبقرية عمر الحقيقية كانت في النظرة الشاملة للأمور والتخطيط الاستراتيجي وأما الضعف فكان في التعمق في التفاصيل الدقيقة. وهناك قصص مشهورة عن عمر بن الخطاب تدل على ما سبق:

فعندما قام الحطيئة بهجاء الزبرقان بقوله: "دع المكارم لا ترحل لبغيتها - واقعد فأنت الطاعم الكاسي"، فإن عمر بن الخطاب لما سمعها قال ما أسمع هجاء ولكنه معاتبة ولكن الزبرقان وصفه بأنه أشد الهجاء، واستشار عمر حسان بن ثابت فأقر أنها هجاء فقام عمر بن الخطاب بسجن الحطيئة.

ولقي عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان فقال له كيف أصبحت فقال أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصلي بغير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء. فغضب عمر ودخل على بن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين على وجهك أثر الغضب فأخبره عمر بما كان له مع حذيفة فقال له علي: صدق يا عمر. يحب الفتنة يعني المال والبنون ويكره الحق يعني الموت ويصلي بغير وضوء يعني الصلاة على الرسول ﷺ وله في الأرض ما ليس لله في السماء يعني له الزوجة والولد.

وقالت امرأة لعمر بن الخطاب: إن زوجي صوام قوام. فقال عمر: بارك الله لك بزوجك. فقال علي: إنها تشكو زوجها.

وفي المقابل فإن على بن أبي طالب كان شديد الانتباه للتفاصيل حتى قال عمر بن الخطاب: على أقضانا (رواه البخاري). والانتباه للتفاصيل هو أمر ضروري جدا في عملية القضاء ولكن في المقابل فقد أخطأ سيدنا على بن أبي طالب في التخطيط الاستراتيجي كما سيأتي ذكره لاحقا.

إن التفاصيل الدقيقة كانت نقطة الضعف عند عمر ولهذا السبب فقد وقع عمر بن الخطاب في بعض الأخطاء المتعلقة باختيار القيادات العسكرية ولكنه تعلم من هذه الأخطاء وبسرعة شديدة. وفي المقابل فقد كانت نظرته الشاملة هي التي جعلته يقوم بوضع القوانين الإدارية المتعلقة بإدارة الدولة والقدرة على السيطرة على فارس والشام معا.

ولكن هناك خطأ حقيقي من عمر بن الخطاب (والصحابة) أنه لم يقم بخلق نظام استخلاف. وقد تم فتح موضوع الاستخلاف وخطب عمر بن الخطاب في الناس وكان آخر الخطبة: "فمن بايع أميرا من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه" رواه أحمد. ولكن هذا لم يدفعه للتفكير بخلق نظام للاستخلاف.

* وعندما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب وجاءه الناس يطلبون أن يستخلف فيهم فرفض وقال لا أحملكم حيا وميتا. ومع كثرة الطلب جعلها عمر بن الخطاب شورى في الستة وهم على بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ووضع لهم مدة ثلاثة أيام ليختاروا الخليفة.

ووجهة نظر المؤلف أن هذا الأسلوب لم يكن الأولى، والأسباب كما يلي:

أ. من الستة المختارين يوجد اثنان فقط لهم خبرات إدارية عميقة وهم على بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. فعلي قد اختاره الرسول عليه السلام في أكثر من

مهمة كما كان قاضي القضاة في عهد عمر بن الخطاب. وأما سعد بن أبي وقاص فقد كان قائد الجيش في القادسية كما كان والي العراق. أما باقي الستة فليست لهم خبرات إدارية عميقة. وهذا معناه أن عملية الشورى قد تتمخض عن قيام واحد من هؤلاء الأربعة بأخذ الخلافة. وهذا الذي حدث فقد أخذ الخلافة سيدنا عثمان بن عفان.

ب. سيدنا عثمان بن عفان من أقرب الناس إلى رسول الله وقد تزوج من ابنتين لرسول الله عليه السلام. ولكن اختيار القيادة يكون للأقدر عليها وليس للأقرب إلى رسول الله عليه السلام. فأبو ذر الغفاري من أقرب الصحابة إلى الرسول عليه السلام وعندما طلب من الرسول عليه السلام أن يتولى بعض الأمر قال له الرسول عليه السلام: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" رواه مسلم. والنقطة في موضوع عثمان أنه رجل تستحي منه الملائكة من شدة حيائه وهي صفة ممدوحة إلا في إمارة الدولة. فإن إمارة الدولة تقتضي الحزم والشدة عند الضرورة وهي صفات صعبة لرجل شديد الحياء. بالإضافة إلى ذلك فقد كان عثمان بن عفان قد وصل إلى السبعين من عمره عندما استلم الخلافة، والعمر له أحكامه.

ج. هذا الأسلوب من الشورى فيه إحراج شديد. فالكل يرغب في الإمارة والكل يرى أنه أهل لها ولكن في الوقت نفسه فإنه ليس من السهل أبدا مدح النفس وانتقاص الآخرين. ولهذا السبب فقد اقترح عبد الرحمن بن عوف أن يخرج منها ويختار ورضي الجميع باقتراحه. وتحولت الشورى بين الستة إلى قرار يتم فرضه من شخص واحد.

على أية حال فإنه يجب الانتباه أن هذا التشكيل قد جاء على عجل مع وجع الطعنات على فراش الموت. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن الأولى كان أن يقوم عمر بن الخطاب باختيار عشرة من كبار الأنصار وأن يطلب إليهم أن يتشاوروا

ويختاروا واحدا من المهاجرين. وهذا الحل يتوافق مع قول الله عز وجل عن الأنصار: ﴿...فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]. وقوله عن المهاجرين: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

والصادق هو من صدق في قوله وفعله والفالح هو من أفلح في اختياره. ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أن الأنصار لو تشاوروا في الأمر لكان اختيارهم مفلحا. ولو فعلها عمر بن الخطاب لصارت سنة في عملية الاستخلاف.

* أما بالنسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان فإن نقطة الضعف (والتي هي نقطة القوة في مواقف أخرى) هي شدة حيائه، وهذا ما جعله غير حازم مع أقربائه وهو ما تسبب بمشاكل كبيرة. ولكن هذه ليست مشكلة عثمان وحده وإنما هي مشكلة الصحابة كلهم. فقد تمت بيعة عثمان على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين من بعده. ولهذا فقد كان يجب على الصحابة ومنذ أن رأوا الابتعاد عن سنة الشيخين أن يقفوا سدا واضحا أمام عثمان يطلبون منه الالتزام بشروط البيعة. ولكن كان هذا أول سابقة للمسلمين فيما يتعلق بمحاسبة الحكام ولم تكن هناك أي آلية موجودة تسمح بهذه المحاسبة فكان الارتباك والتردد حتى حكمت الفتنة بين الصحابة.

* وبالنسبة إلى سيدنا على بن أبي طالب فإن أول خطأ قام به هو تركه لنصيحة عبد الله بن عباس والمغيرة بن شعبة في الإبقاء على معاوية حتى تهدأ الأمور. وقد صبر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول وصبر على خيبر حتى تمكن منهم.

* وكان سيدنا على بن أبي طالب حازما في قراراته ولكنه كان لينا في تنفيذها. وهذا يتطلب بعض الشرح:

إن حكم الدولة وخصوصا في أوقات الفتنة يتطلب حزما وشدة. ولكن الحزم والشدة يؤديان في كثير من الأحيان إلى الظلم. وليس في هذا مشكلة كبيرة إذا لم يكن

الظلم جريمة أو كبيرة أو انتهاكاً وكان هناك آلية للمظلوم أن يشتكي. ومثال ذلك قصة عمر بن الخطاب في منعه الناس من الطواف في خط النساء ووجد رجلا يطوف مع النساء فضربه وعندما علم عمر بن الخطاب أن هذا الرجل لم يسمع بتعليمات عمر المتعلقة بالطواف أعطاه الدرة ليقتص. فقيام عمر بضرب الرجل قبل السؤال هو ظلم. ولكن هذا الظلم لم يصل إلى الجريمة والكبيرة والانتهاك وكان هناك آلية للشكوى. وكذلك فقد عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد وقد يرى بعض الناس أن هذا العمل هو ظلم لخالد وكان خالد يرى ذلك بالتأكيد. ولكن هذا الظلم (إن ثبتت صحته) لم يصل إلى درجة الجريمة أو الكبيرة أو الانتهاك. ولكن في المقابل فإن حزم عمر بن الخطاب كان ضروريا لربط الدولة وتنظيم أمورها. وأما سيدنا على فكان لينا في التنفيذ خشية أن يظلم أحداً. ولكن عدم القيام بالحزم والشدة في مواقف الاضطراب قد أدى إلى خروج الناس من دائرة الانضباط إلى دائرة الفوضى.

* اختار على بن أبي طالب العراق لتكون نقطة انطلاق لمحاربة معاوية بن أبي سفيان. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن اختيار العراق كنقطة تمركز لم يكن مناسبا. وضمن جميع السوابق التي حدثت مع الولاة السابقين فإن أهل العراق وقتها كانوا صداعا لكل حاكم جاءها. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن العراق كانت بحاجة إلى رجل داهية وكان الأولى أن يذهب على بن أبي طالب إلى مصر وهي أكثر طوعا ويجعل المغيرة بن شعبة على العراق. ولا يوجد أي خوف من استقلال المغيرة بالعراق لأن أهل العراق لن يقبلوا بذلك.

* عندما قام عبد الرحمن بن ملجم بطعن على بن أبي طالب فقد طلب منه المسلمون أن يستخلف وأبى. وبعد موته قام الناس بمبايعة ابنه الحسن بن على بن أبي طالب. ولا يوجد شك عند المؤلف بقرابة وصلاح وذكاء سيدنا الحسن عليه السلام. ولكن المهارات المناسبة تختلف باختلاف الظروف فمن الناس من تكون مهاراته مناسبة وقت السلم والصفاء وغير مناسبة وقت الفتنة والارتباك. ومن الناس من تكون مهاراته مناسبة وقت الفتنة والارتباك وغير مناسبة وقت السلم والصفاء. وفي نظر المؤلف فإن أولى الناس بالخلافة بعد على بن أبي طالب

في هذه الظروف هو سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس. وكان لسعد الحزم والمهارة الإدارية وكان لعبد الله بن عباس المهارة السياسية والدهاء والقدرة على جمع الحشود.

* بالنسبة لسيدنا الحسن فإن الخطأ الذي قام به هو تركه الأولى في قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات]. والذي حدث هو أن الحسن تصالح مع معاوية قبل أن يفيء معاوية إلى الحق وكان الأولى هو أن يقاتل الحسن معاوية حتى يفيء معاوية إلى الحق.

بالطبع يوجد هناك حديث المصالحة: عن أبي بكرة يقول: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". رواه البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد. ولكن هناك إشارات استفهام حقيقية في سند هذا الحديث:

أحد القواعد التي تعلمها المؤلف من عالم ثقة هي قاعدة أصولية لأبي حنيفة النعمان وهي أنه كان يرد (يرفض) أخبارالآحاد في الأمور التي تعم فيها البلوى. مثال ذلك هو الحديث: "من مس ذكره فليتوضأ" وهو خبر آحاد. ووجهة النظر هنا أن لمس الذكر قد يحدث بشكل طبيعي عند تغيير الملابس ولهذا فالمنطق يقول إن هذا الحديث يجب أن يكون مشهورا بين الصحابة. ولكن أن يأتي هذا الحديث على خبر آحاد فهو أمر غير منطقي. وعليه فقد قام أبو حنيفة (حسب علم العالم) برد هذا الحديث. وقد حاول المؤلف البحث عن هذه القاعدة في المصادر المتوفرة ولم يجدها. ولكن مفهوم هذه القاعدة له منطقية.

دعونا نتحدث قليلا عن مجال العقل في النصوص الشرعية:

العقل لا يقوم بالتحليل والتحريم وإنما يقوم بما يلي:

١. يقوم العقل بتحليل النص باستخدام أدوات تحليل (أدوات لغوية وقياسية ومقارنة..إلخ) للوقوف على المعنى في هذا النص.

٢. يقوم العقل بتحديد مستوى ثبوت النص باستخدام قواعد الجرح والتعديل.

ومستوى الثبوت هو درجة صحة انتساب الحديث للرسول عليه السلام. وصحة انتساب القرآن تامة بسبب التواتر، ولكن صحة انتساب الأحاديث متباينة فمنها المتواتر ومنها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف ومنها المنكر.

وكما تم ذكره فإن الطريقة التي يقوم فيها العقل بتحديد مستوى الثبوت للأحاديث يكون باستخدام قواعد الجرح والتعديل. وإذا انتبه القارئ لهذه القواعد فسيجد أنها قواعد عقلية جاءت من النظر إلى الواقع. فعندما يأتي نص بسلسلة من الرواة من ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن المصدر فإن احتمالية ثبوت النص للمصدر تكون عالية. وهذا ليس تخمينا ولا افتراضا وإنما هو أمر منطقي جاء من النظرة إلى الواقع ويمكن إثباته بالتجربة. وعندما تأتي سلسلتان مستقلتان من الرواة فإن احتمالية ثبوت النص تتضاعف. وعندما تأتي أكثر من تسعة سلاسل مستقلة من الرواة فإن احتمالية الثبوت تكاد تصل إلى درجة التواتر. وهذه القواعد ليست تخمينية وإنما هي منطقية جاءت من النظر إلى واقع الأمور. وكذلك قاعدة أبي حنيفة فهي قاعدة منطقية يمكن إثباتها من النظرة إلى الواقع.

دعونا نرجع الآن إلى حديث المصالحة:

الحديث رواه البخاري والنسائي وأبو داود وأحمد. ولكن جميع الروايات مصدرها هو الحسن البصري عن أبى بكرة عن الرسول عليه السلام. ففي رواية البخاري فإن الرواة هم: عبدالله بن محمد عن يحيى بن آدم عن حسين الجعفي عن الحسن البصري عن أبي بكرة عن الرسول عليه السلام.

وفي رواية أبى داود هم: مسدد ومسلم عن حماد عن على عن الحسن البصري عن أبى بكرة عن الرسول عليه السلام.

والمشكلة هو أن أبا بكرة توفى عام ٥٢هـ في حين أن الصلح بين الحسن ومعاوية كان في ٤٠هـ. وهنا المشكلة إذ إن المنطق يقول إن هذا الحديث يجب أن ينتشر بين المسلمين كالنار في الحطب ومن صحابة مختلفين ولكن الذي حدث أن انتشار هذا الحديث جاء من الحسن البصري فقط عن أبى بكرة.

وكذلك فإن مرتبة الحسن البصري في الرواية عند ابن حجر (أحد المحققين) هو: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. والإرسال هو أن تسمع القصة من زيد عن المصدر فتقول قال المصدر دون أن تذكر زيداً. والتدليس له تعريفات مختلفة وأبسطها هو خلط القصص في قصة واحدة فعندما تسمع قصة من زيد وعمرو وجرير فتقوم بخلط القصة دون أن تحدد بالضبط من قال ماذا. والإرسال والتدليس لا تجرح عدالة الشخص ولكنها قد تجرح السند.

واعتمادا على ما سبق فإن حديث المصالحة عليه التالي:

١- الحديث يخالف مفهوم آية البغي.

٢- الحديث يخالف المنطق في قاعدة أبي حنيفة.

انتبه هنا... المؤلف لا يقوم بتكذيب الحسن البصري ولا أبى بكرة (نفيع بن الحارث الثقفي). وعدم التصديق لا يعني التكذيب فقد روى عمار بن ياسر حديث التيمم ولم يقتنع به عمر بن الخطاب وهذا لا يعني أن عمر بن الخطاب قد قام بتكذيب عمار بن ياسر. وكذلك ذكرت فاطمة بنت قيس خبرا عن الرسول عليه السلام فقال عمر بن الخطاب "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت" رواه مسلم. فعمر بن الخطاب لم يقم بتكذيب فاطمة ولكنه كذلك لم يصدقها.

فالمؤلف لا يقوم بالتكذيب وإنما هناك استشارات استفهام تجاه حديث المصالحة مما يتطلب دراسة هذا الحديث بتعمق أكبر.

وعلى غلبة الظن فإن سيدنا الحسن بن على لم يخالف الحكم الشرعي في الآية ولكنه ترك الأولى، إذ إن هناك مدرستين في الأصول الشرعية أولهما أن الطلب (افعل كذا ولا تفعل كذا) هو للجزم ما لم تظهر قرينة تدل على أن الطلب غير جازم، والمدرسة الثانية أن الطلب غير جازم ما لم ترد قرينة تدل على أنه جازم. والمؤلف مع المدرسة الثانية، فقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة]، فإن الانتشار كان طلبا غير جازم وهو هنا للتخيير. وعلى غلبة ظن المؤلف فإن آية البغي هي توجيه ولهذا فما فعله الحسن ليس مخالفا ولكنه بالتأكيد قد قام بترك الأولى. وكانت عواقب ترك هذا الأولى قاسية جدا على ذرية الحسن وذرية الحسين عليهما السلام وعلى المسلمين عامة. ولو أن معركة كربلاء قد حدثت بين الحسن ومعاوية لما استطاع معاوية أن يبقى في مكانه يومين، إذ إن المسلمين وقتها قد كانوا على درجة عالية من الحمية والإباء ولكن كربلاء حدثت بعد ذلك بعشرين سنة وكان لمعاوية الوقت الكافي لاستخدام تكتيكات سلامي وسلق الضفدعة مع المسلمين وأن يشتري الذمم وأن يمد جذور ملكه إلى الأرض.

* عندما قرر سيدنا الحسين بن على بن أبي طالب الثورة على طغيان يزيد بن معاوية نصحه عبد الله بن عباس بالتوجه إلى اليمن حيث إن له فيها شيعة. ولكن الحسين قد وجد في العراق القوة والعدد وقرر الذهاب إلى هناك وهذا خطأ استراتيجي. وضمن نظرة التاريخ فإن أهل العراق وقتها كانوا صداعا حقيقيا للولاة السابقين ولوالده على بن أبي طالب ولأخيه الحسن. فكان الأولى ألا يثق بهم. وكانت نصيحة ابن عباس هي الأولى وعلى غلبة تخمين المؤلف فإن الحسين لو ذهب إلى اليمن فإن ليزيد الحماقة الكافية أن يبعث بأفضل جنوده إلى اليمن. وشعاب اليمن ليست سهلة لأعدائها.

وقد يتم اتهام المؤلف أنه تجرأ على الصحابة الكرام. وقد يكون هذا الاتهام صادقا. ولكن المؤلف لم يتجرأ على الهوى والارتجال وإنما وضع وجهة النظر بناءً على

منهج ومقاييس واضحة. وللمؤلف سابقة يحتج بها وهي قصة صلاة الرسول عليه السلام مع عبد الله بن أبي بن سلول: "فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه فقال أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال أنا بين خيرتين قال (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم). فصلى عليه فنزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا). رواه البخاري. فجرأة عمر بن الخطاب على الرسول عليه السلام لم تكن على الهوى والارتجال وإنما جاءت بناءً على منهج ومقاييس واضحة. بالإضافة إلى ذلك فإن الصحابة قد تعرضوا إلى مواقف جديدة لم يخبروها من قبل وخاضوا تجربتها وأخذوا القرارات فيها وظهرت بعدها نتائج وعواقب هذه القرارات. ولهذا فإنه من السهل لمن يأتي بعد الصحابة أن يقارن المواقف التي تم اتخاذها مع هذه النتائج لاستخلاص العبر والدروس. وقد قيل إن الأقزام فوق أكتاف العمالقة ينظرون أبعد منهم.

❖ نظرات واقعية

كما تم تبيانه من قبل فإن الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله هم من أصحاب الكارت الأخضر وأما معاوية فهو ليس من أصحاب الكارت الأخضر. وهذا معناه أنه لا توجد مقارنة بين الفتنة التي حدثت بين الزبير وعلي والفتنة التي حدثت بين معاوية وعلي. فالظاهر الحسن من أعمال الزبير وطلحة له نظرة الحسن والظاهر غير الحسن من أعمالهم له نظرة التبرير وحسن النية. وأما المسلمون الذين ليسوا من أصحاب الكارت الأخضر فإن الظاهر الحسن من أعمالهم له نظرة الحسن والظاهر الشر من أعمالهم له نظرة السوء والاتهام.

والظاهر من أعمال معاوية هو ما يلي:

* قام برفض أوامر الخليفة الشرعي.
* قام بالتمرد على أوامر الخليفة الشرعي.
* قام بشحن الناس ضد الخلافة.

* قام بحشد الجيوش ضد الخلافة.

* رفع السيف في وجه الخلافة.

* كان أول أمير يقوم بالتأويل السيئ للنصوص الشرعية (وهو حديث قتل الفئة الباغية لعمار).

* تسبب بمقتلة كبيرة بين المسلمين في صفين.

* قام (وبمساعدة عمرو بن العاص) بخلع الخليفة مكرا.

* قام بادّعاء الخلافة

* قام بإرسال الغارات على ثغور الخلافة وتسبب بمقتل بعض المسلمين فيها.

* قام بإلحاق زياد بن أبيه.

* قام بإعدام حجر بن عدي الكندي وستة من أصحابه دون حق. وحجر كان ضمن وفد كندة الذي قدم إلى المدينة وبايع الرسول عليه السلام. وكانت شهادة الناس عن حجر بن عدي أنه صوام قوام وكان ذنبه هو معاندته للوالي (زياد بن أبيه) ومطالبته بحقوق الناس. ومهما كان الإزعاج في تصرفات حجر بن عدي فإن هذا لا يعطي لمعاوية أي حق في إعدامه. وكما كان هابيل أول رجل يتم قتله ظلما في تاريخ البشرية فإن حجر وأصحابه كانوا أول رجال تم إعدامهم ظلما في تاريخ الإسلام .

* نقض العهد بينه وبين الحسن. فقد كان الاتفاق أن يكون الحسن بعد معاوية، فإن مات الحسن تكون الخلافة شورى بين المسلمين.

* قام بفرض ابنه يزيد على المسلمين. ولهذا فهو أول من سن النظام الملكي في العالم الإسلامي.

وهناك من يضع الأعذار لمعاوية وحسن النية ولكن المطالبة بدم عثمان لا تبرر شحن الناس وحشد الجيوش من أطراف بلاد الشام ضد الخلافة. وكذلك فإن قتل

حجر بن عدي وأصحابه لا يوجد له أي عذر بأي حال من الأحوال. وما حدث لحجر هو جريمة قتل آثمة إذ لم يقم حجر بأي عمل يستدعي إعدامه.

وبالنسبة إلى المؤلف فإن الظاهر في جميع الأعمال السابقة أنها كبيرة في حق على بن أبي طالب وحق الإسلام والمسلمين. وللمؤلف حجة في اتهام معاوية وهو قول الرسول عليه السلام: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار"رواه البخاري في الصلاة.

وكان رد معاوية : "فقام عمرو بن العاص فزعا يُرَجِّعُ حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك قال: قتل عمَّار فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تقتله الفئة الباغية" فقال له معاوية دُحضت في بولك أو نحن قتلناه إنما قتله على وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا" رواه أحمد.

وهناك حجة أخرى في اتهام معاوية وهو حديث غدير خم:

"حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا: حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع على رضي الله تعالى عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس - وقال أبو نعيم فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت وكأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت عليا رضي الله تعالى عنه يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له" رواه أحمد.

ولهذا فلا يوجد شك عند المؤلف في خطورة أعمال معاوية. ولكن السؤال هنا هو: هل من الحكمة القيام بلعنه على المنابر؟؟

المؤلف على اقتناع بأن ما فعله معاوية هو كبيرة في حق الإسلام والمسلمين بالضبط كما أن المؤلف على اقتناع بأن ما فعله جمال عبد الناصر هو كبيرة في حق الإسلام والمسلمين. ولكن المؤلف لا يقوم باللعنة على عبد الناصر وذلك لوجود الكثير من الناس ممن يحب عبد الناصر وهؤلاء هم أناس عاديون ليس لهم علاقة بالسياسة أو الأحزاب.

وأحد الطباع الموجودة في البشرية هو عشق القوة والنجاح. وهذه صفة غريزية وموجودة في كثير من أفراد المجتمع. ولهذا السبب فكثير من الناس عندما يطالعون تاريخ عبد الناصر فإنهم ينظرون إليه باعجاب خفي. وهذه الصفة لاحظها المؤلف عند الكثير من الناس وهي ليست نفاقا منهم.

وما لاحظه المؤلف كذلك أنه يستطيع أن يصف أعمال وتصرفات عبد الناصر بأنها اعتداءات في حق الإسلام والمسلمين، وهذا لا يسبب أي مشكلة كبيرة. ولكن تبدأ الضغينة والضيق في اللحظة التي يقوم فيها المؤلف بشتم عبد الناصر ولعنه. فالملاحظة كانت أن اتهام عبد الناصر بالاعتداء ليس فيه مشكلة كبيرة ولكن القيام بشتمه ستسبب شق الصفوف وهو أمر ليس له داعٍ.

وكذلك فإن هناك الكثير من المسلمين من ينظر بإعجاب لمعاوية (بسبب العشق للقوة والنجاح) وهؤلاء ليسوا منافقين. ونظرة المؤلف أنه ليس من الحكمة شق الصفوف من أجل اللعنة أو الشتيمة، فتوضيح المواقف ونظرات الاتهام لا تحتاج للشتائم واللعنات.

وهناك حجة للمؤلف في ذلك وهو قول الرسول عليه السلام: "يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت" رواه مالك في الموطأ.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالانتباه:

سابقا عندما كان المؤلف يقرأ قصص العرب ويقرأ عن أفعال معاوية ويزيد وعبيد الله بن زياد ومروان بن الحكم وعبد الملك والوليد وهشام والحجاج بن

يوسف فقد كان القلب يكاد يخرج من شدة الغيظ. ولكن بعدها تم الانتباه إلى موضوع الديناميكية في المجتمعات واتضحت للمؤلف أمور كثيرة.

وإذا نظر القارئ إلى التاريخ نظرة شمولية فسيجد أن الأقدار قد انتقمت شر انتقام لكربلاء وموقعة الحرة ومقتل زيد بن علي. فشدة الظلم الذي قام به بنو أمية قد وصل إلى حد الانفجار في الأمة وكانت النتيجة انتقامًا ما كان ليرضاه الرسول عليه السلام ولا الصحابة ولا الكرام من الناس.

وهناك ميزة يجب أن نذكرها لبني أمية: فمع شدة ظلمهم للأمة فقد كان قتلهم رحيما. فهم إن غضبوا على الشخص قاموا بقطع عنقه وانتهى. وكذلك لم يقوموا بإعدام الأطفال والقصر وإنما إعدامهم كان للبالغين. ولكن ما فعله بنو العباس كان أشد ظلما وقد خرجت أعمالهم تماما عن دائرة المنطق والمعقول. فقد قاموا بملاحقة جميع الرجال والأطفال الذكور من بني أمية في المدن والقرى والبيوت وقتلهم واحدا تلو الآخر. وفي حين كان بنو أمية سريعين في القتل فقد كان بنو العباس أشد ظلما فقد تلذذوا بالقتل والتعذيب، والقصة مشهورة عندما كان بعض رجال بني أمية عند أبي العباس السفاح فأنشده أحد الناس القصيدة التي مطلعها:

أصبح الملك ثابت الأساس　　بالبهاليل من بني العباس

وكان منها قوله:

لا تقيلن عبد شمس عثارا　　واقطعن كل رقلة وغراس
ولقد ساءني وساء سوائي　　قربهم من منابر وكراسي
فاذكروا مصرع الحسين　　وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى　　رهن رمس وغربة وتناسي

فقام بنو العباس بضرب بني أمية بالسياط ثم وضعوا بساط الطعام فوقهم وأكل الناس وهم يتلذذون بآهات بني أمية. وقد كانت لعنة ثم لعنة ثم ألف لعنة

ذلك اليوم الذي يضطر فيه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز إلى الركوع على ركبتيه باكيا يتوسل الرحمة من الضرب والموت، وقام بنو العباس بإطلاقه بعد تردد.

وهذا الانتقام ما كان ليرضاه الرسول عليه السلام ولا الصحابة. ولو كان بنو أمية رجالا غير مسلمين لكان من الممكن القول إن ما فعله بنو العباس هو تصفية حسابات. ولكن بنى أمية كانوا مسلمين وينطبق على الباغين منهم أحكام البغاة وينطبق على الظالمين والمجرمين منهم أحكام القضاء ولا يجوز أبدا التعرض لشخص لم يكن باغيا ولا ظالما ولا مجرما. فما فعله بنو العباس كان إجراما حقيقيا.

والذي حدث أن مستوى الأخلاق في الدولة الإسلامية قد بدأ يتساقط وباطّراد. فقد بدأ بنو أمية بالإعدام دون حق ولكن لم يقوموا بالتعذيب ولا بإعدام الأطفال والقصر ولم يتعرضوا للنساء. أما بنو العباس فقد قاموا بأعمال بني أمية وزادوا فيها التعذيب والتلذذ في القتل وإعدام القصر ولكن لم يتعرضوا للنساء. وجاءت بعدهم أجيال قاموا بانتهاك جميع الحرمات.

والذي لا يذكره التاريخ جيدا أن هناك ملحمة أخرى تساوي ملحمة كربلاء ومقتلة زيد وهي ملحمة محمد النفس الزكية بينه وبين أبي جعفر المنصور والتي تسببت بمقتل النفس الزكية ومقتل أخيه وإعدام الكثير من أقاربه في سجن المنصور ومنهم والده عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب.

والفرق بين ملوك بني العباس وبني أمية أن بني العباس كانوا أشد ظلما إذا غضبوا وأكثر عدلا في الصفاء. ولكن الأقدار لم تنس كذلك جرائم بني العباس فما هو إلا زمن قليل حتى أصبح أحفاد أبي جعفر المنصور ألعوبة ودمى في أيدي الجيش وقد قال الشاعر وقتها:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قيل له كما يقول الببغا

ثم جاءت مذابح المغول والتي قامت بتدمير بغداد من جذورها. وإذا نظر القارئ إلى تاريخ بغداد فإن هناك فجوة حقيقية في التاريخ بين بغداد قبل المغول وبين بغداد الحديثة. فبغداد كمدينة لم يرجع إليها الصيت بعد ضربة المغول إلا في العصر الحديث.

النقطة التي يريد المؤلف أن يشرحها هنا أن الأقدار قد انتقمت لكربلاء وموقعة الحرة ومقتلة زيد ومقتلة محمد النفس الزكية وموقعة فخ. ومن يشعر بالغيظ الشديد لأعمال يزيد بن معاوية وعبد الملك فليتذكر أن أحفادهم قد ماتوا ضربا بالسياط وهو انتقام ما كان ليرضاه الرسول عليه السلام ولا الصحابة، ولكن الأقدار إذا حكمت فإنها لا تستأذن أحدا.

ومن المناسب هنا الانتباه لبعض تقلبات الأقدار: ففي بداية القرن العشرين كان آل عائض يحكمون عسيرًا. و إلى الجنوب الغربي من عسير كانت جيزان وكان يحكمها الإدريسي وهو من بني هاشم. و إلى الشمال من عسير كانت الحجاز وكان يحكمها الأشراف وهم كذلك من بني هاشم. و إلى الشرق من عسير كانت نجد وكان يحكمها آل سعود. وأما آل سعود فقد كان لهم علاقة واضحة والتزامات مع الإنجليز. وأما الأشراف فقد تحالفوا مع الإنجليز لضرب الخلافة العثمانية، وأما الإدريسي فقد كان تابعا للطليان وعندما وجد أن الذهب الإنجليزي أثقل تبعهم. وأما آل عائض فقد بقوا على الولاء للخلافة ورفضوا التعامل مع الطليان والإنجليز حتى قام فيصل بن عبد العزيز وجيشه بمحاصرة أبها عاصمة عسير عام ١٩٢١. وآل عائض هم أحفاد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وقد نفذ أبوهم بجلده من بني العباس ولجأ إلى أخواله في عسير عام ١٣٣هـ. فهل هذه هي إحدى سخريات القدر؟!

ونظرة المؤلف هنا أنه من الضروري القيام بقراءة التاريخ الإسلامي وخصوصا تاريخ الفتنة ولكن ببرودة الأعصاب وهدوء النفس . والسبب هو أنه إذا قامت

الخلافة الثانية فستكون المصيبة كل المصيبة إذا استطاع معاوية آخر جديد الاستحواذ على السلطة المطلقة. وهنا القيمة الحقيقية من قراءة هذا التاريخ، لأن الإدراك الحقيقي لما حدث في الفتنة سيقوم بترسيخ مفاهيم واضحة في الوجدان عن خطورة التنازل عن الحق وخطورة السماح لمعاوية آخر جديد بأخذ السلطة المطلقة، لأن الذي سيحدث بعدها هو نفسه الذي حدث للمسلمين بعد ثلاثين سنة من وفاة الرسول عليه السلام. وهنا تأتي الضرورة الحقيقية للتعمق في هذا التاريخ ولكن ببرودة الأعصاب.

أما إذا رغب إخوتنا الشيعة بالاستمرار في لطم وجوههم وضرب صدورهم وخدش سواعدهم في ذكرى كربلاء فياحبذا لو يقوم إخوتنا الشيعة باختيار يوم آخر لذكرى وقعة الحرة. فذلك اليوم هو اليوم الذي تعرض فيه الأنصار إلى مذبحة وتمت استباحة المدينة المنورة ثلاثة أيام. وللذكرى فهناك حديث طويل للرسول عليه السلام في كنز العمال للهندي:

"... ولو شئتم لقلتم فصدقتم: ألم نجدك طريدا فآويناك ومكذبا فصدقناك وعائلا فآسيناك وخذولا فنصرناك؟ فجعلوا يبكون ويقولون الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال أوجدتم من شيء من دنيا أعطيتها قوما أتألفهم على الإسلام ووكلتكم إلى إسلامكم؟ لو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت واديكم وشعبكم ..."

ألا يستحق هؤلاء الرجال الذين قام الإسلام على أكتافهم ثم بعد أن دانت الأرض للإسلام تأتي الأقدار بأحكامها وتقوم الدولة بقتالهم وقتلهم واستباحة مدينتهم. ألا يستحق هؤلاء الرجال أن يقوم إخوتنا الشيعة باختيار يوم لذكراهم كما يذكرون كربلاء؟؟

وياحبذا كذلك أن يقوم إخوتنا الشيعة في العراق باختيار يوم ثالث لذكرى الإمام زيد فقد خذله أهل العراق كما خذلوا جده من قبل. وكذلك يوم رابع لمحمد النفس الزكية ويوم آخر لأخيه إبراهيم بن عبد الله الذي تم قتله في العراق. وإذا نظر إخوتنا الشيعة إلى الويلات والمآسي التي حدثت للمسلمين فإن ٣٦٥ يوما في السنة لن تكون كافية.

الدعوة هنا من المؤلف إلى إخوتنا الشيعة الجعفرية ..... كفاية.

ويوجد هنا نقطة فرعية لها مغزى وهي موضوع هارون الرشيد:

هناك من يصف هارون الرشيد بأنه سادس الخلفاء الراشدين وأنه كان يغزو عاما ويحج عاما. على أية حال فإن هناك أمورًا مبهمة وغامضة كثيرة في تاريخ هذا الرجل. ولكن هناك أمرين ثابتين واضحين عليه أولهما أن أول عمل قام به بعد توليه الخلافة أنه أمر بإعدام أبي عصمة القائد (أحد وزراء أخيه الهادي) لمناكفة حدثت بينهما سابقا. ومهما كانت هذه المناكفة فلا يوجد أي عذر شرعي يسمح لهارون بإعدام أبي عصمة. والأمر الثاني هو إعدام جعفر البرمكي دون حق. وقد قيل إن جعفر البرمكي زنديق ولكن الزنديق لا يتم إعدامه دون استبيان واستتابة. وضمن أحكام الشرع فلا يجوز أبدا قتل المسلم أو المعاهد إلا بالحق.

وهذان الأمران (إعدام أبى عصمة وجعفر) هما جريمتان واضحتان في عنق هارون الرشيد.

ويجب هنا التنبيه لأمر جوهري:

عندما يقوم الفقير الضعيف بالجريمة فمن الطبيعي أن يقوم المسلمون باتهامه بالسوء ومعاقبته. ولكن عندما يقوم السيد أو الحاكم أو الملك بالجريمة ويقوم المسلمون (لإعجابهم بإنجازاته وحبهم لذكراه) بالتغاضي عن هذه الجريمة، فما هو الفرق بيننا نحن المسلمين وبين بني إسرائيل؟؟؟

وهنا دعوة من المؤلف إلى تحري الصدق والأمانة عند النظر إلى التاريخ. وليس من الصدق والأمانة الكيل بمكيالين. فإن ثبت أن هارون الرشيد قد قام بإعدام أبي عصمة القائد ظلما فإن الأمانة تقتضي استنكار هذه الجريمة وعدم غض الطرف عنها.

وهنا نقطة فرعية أخرى متعلقة بمعاوية أنه من كتبة الوحي. وهنا يجب الانتباه إلى ما يلي:

كان عبد الله بن أبي السرح أحد كتبة الوحي ولكنه ارتد وهرب إلى مكة. وفي فتح مكة كان هو أحد الذين طلب الرسول عليه السلام قتلهم وإن كانوا متعلقين بأستار الكعبة. ولكن جاء به عثمان بن عفان يستشفع له عند الرسول. وسكت الرسول مليا ثم عفا عنه ولكن الرسول بعد ذهاب عبد الله بن أبي السرح قال لأصحابه: "أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك قال لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين" رواه أبو داوود .

انتبه الآن... إن غزوة بدر قد شفعت لحاطب ابن أبي بلتعة ولكن كتابة الوحي لم تشفع لعبد الله بن أبي السرح وإنما الذي شفع له هو عثمان بن عفان. والعبرة هنا أن غزوة بدر تشفع لأصحابها إن هم أخطأوا ولكن كتابة الوحي لا تشفع لأصحابها إن هم أخطأوا.

❖ لماذا لم يقم الرسول عليه السلام بوضع نظام استخلاف؟

هذه ملاحظة حقيقية وهذا ما يذكره الكثير من المستشرقين. فهم يقولون إن محمدا (رسول الله) قد أخطأ بعدم الاستخلاف وتسبب هذا الخطأ بمشكلة أهلية بعد وفاته ثم ليتسبب هذا الأمر لاحقا إلى حرب أهلية بين المسلمين. وهذا كذلك ما ينتقده علماء التاريخ للإسكندر المقدوني وأتيلا وذلك لأنهما لم يقوما بالاستخلاف لأحد من بعدهما وتسبب هذا الأمر بحروب أهلية بعد وفاتهما.

وملاحظات المستشرقين دقيقة وذكية ويتفق المؤلف مع علماء التاريخ في موضوع الإسكندر وأتيلا ولكن بالنسبة إلى محمد (رسول الله) فالأمر مختلف. فللمستشرقين نظرة ذكية لكنها تعتمد على عدم إيمانهم أن محمدا هو رسول الله. ولكن نظرة المؤلف هو أن محمدا هو رسول الله وعليه فيجب أن تختلف نظرة المؤلف عن نظرة المستشرقين. فالمؤلف يعترف تماما أن نظرة المستشرقين هي نظرة ذكية ولكنها اعتمدت على قاعدة مختلفة تماما عن عقيدة المسلمين وهي التسليم والإيمان بأن محمدا هو عبد الله ورسوله وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهذا معناه أن المؤلف يتفق مع المستشرقين في جزء من نظرتهم العقلية وهي أن محمدا (رسول الله) لم يستخلف وأن هذا قد تسبب بمشاكل لاحقة، ويختلف معهم في أن هذا الفعل كان خطئا منه.

وإذا نظرنا نظرة عقلية مجردة للأمور فسنجد أن هناك ثلاثة احتمالات وهي:

١- محمد (رسول الله) قد أخطأ بعدم الاستخلاف. وهذا هو رأي المستشرقين وهو يخالف عقيدة المسلمين أن رسول الله لا ينطق عن الهوى.

٢- لقد قام الرسول عليه السلام بالاستخلاف ولكن المسلمين قد عصوا أمره ورفضوا خليفته. وهذا معناه اتهام كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين بالكفر والفسوق والعصيان. وهو أمر قد تم نقاشه سابقا ولا يوافق عليه المؤلف.

٣- محمد (رسول الله) قد تعمد ألا يستخلف.

وموقف المؤلف هو الأمر الثالث وهو أن الرسول عليه السلام تعمد ألا يستخلف وأن هذا التعمد هو أمر من الله وليس من نفسه.

ولكن إذا انتبه القارئ فإن المشكلة ليست في الاستخلاف وإنما الأمر أعمق من ذلك. فإن الإسلام قد وضع أنظمة لأمور كثيرة من كيفية الدخول إلى بيت الخلاء وكيفية الاستنجاء إلى نظام العقوبات والنظام الاقتصادي للدولة. ولكن لا يوجد نظام واضح في الاستخلاف كما لا يوجد نظام تفصيلي للحكم وهو أهم نظام لأي دولة. والمقصود بنظام تفصيلي للحكم هو القواعد والآليات التي تحدد بوضوح علاقة الحاكم والمحكوم وكيفية التعامل مع الحاكم وكيفية محاسبة الحاكم وآليات صناعة القرار السياسي وآليات تجديد وتبديل القيادات السياسية في الدولة. وهذا التفصيل غير موجود في الإسلام . وبالطبع يوجد هناك خطوط عريضة ونصوص إرشادية ولكن لا يوجد تفصيل واضح لها كالتفصيلات الأخرى في الإسلام .

بالطبع فإن عدم وجود نظام حكم تفصيلي في الإسلام لا يعني أن الإسلام ناقص وإنما الإسلام كامل. والمعنى من كلمة كامل هو أن الله قد أنزل في الكتاب

الأحكام الشرعية الكاملة المتعلقة بأفعال العباد من حيث كونها فرضا أو مستحبا أو مباحا أو مكروها أو حراما.

ولكن أمور الفرض محدودة وأمور الحرام محدودة وبينهما مسافة ضخمة وهي الحلال. وفي هذا الحلال توجد أنظمة الإدارة والجودة وقواعد التحليل السياسي ومبادئ الاستراتيجية وغيرها. وهذا كله قد استطاع الإنسان التوصل إليه بسبب الانتباه لنجاحات وفشل الآخرين ومن تجربة الخطأ والصواب.

وهنا يجب الانتباه لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]. وهذا معناه أن القرآن فيه هدى ولكن ليس كل الهدى محصورًا في القرآن. فالقرآن هو الكتاب المهيمن على جميع الكتب وأحكام الله فوق جميع الأحكام وهي كاملة من حيث الحلال والحرام ولكن القرآن ليس فيه كل الهدى. فالطالب الذي يريد ممارسة الطب بحاجة إلى قراءة مراجع علوم الطب ولن يستطيع أن يمارس الطب بقراءة القرآن. كما أن الرجل الذي يريد المهارات الاستراتيجية فعليه قراءة كتب التاريخ ولن يستطيع أن يتعلم فن الاستراتيجية من قراءة القرآن فقط.

وهنا نعود إلى السؤال السابق. لماذا لم يقم الإسلام بوضع نظام تفصيلي للحكم يحدد فيه آلية الاستخلاف؟

وهناك جواب وهو أن أنظمة الحكم هي من أكثر الأنظمة تعقيدا، وهي تعتمد تماما على ظروف الدولة. ونظام حكم القبيلة ليس مناسبًا للمدينة كما أن نظام حكم المدينة ليس مناسبًا للقبيلة. كما أن نظام القبيلة هو أبسط من نظام حكم المدينة والذي هو أبسط من نظام حكم الدولة والذي هو أبسط بكثير من نظام حكم الإمبراطورية مترامية الأطراف ومتعددة الألسن والثقافات. ولهذا فإن الإسلام لم يقم بوضع نظام تفصيلي للحكم بسبب تعقيدات هذا النظام.

وبالطبع فإن هناك اعتراضًا على التحليل السابق وهو أن الله لا يعجزه شيء وأن القرآن نفسه هو كتاب معجز وأن الله لا يعجزه أن يقوم بوضع نظام حكم تفصيلي وكافٍ في كتابه الكريم.

وهذا طبعا كلام صحيح. فالله لا يعجزه وضع نظام حكم مفصل وكافٍ في القرآن الكريم ولكن ما هو المقابل؟

وهذا هو لب الموضوع، فهناك أمران واضحان ثابتان عند النظر إلى الديانات السماوية وديناميكية المجتمعات:

السماء لا تقدم الهدى مجانا. وبالعامي: "مافيش هداية ببلاش".

الأقدار ستبقى تمكر بالمجتمعات وتمتحنها بالفتن.

دعونا ندخل إلى التفاصيل:

❖ لا توجد هداية دون مقابل:

إن التوراة كانت هدى ورحمة لبني إسرائيل فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة].

ولكن مستوى الهداية التي تم إعطاؤها لليهود كانت أقل بكثير من مستوى الهداية التي أعطيت للمسلمين. وفي المقابل فإن مستوى العبادات التي فُرضت على اليهود هي أقل بكثير من مستوى العبادات التي فُرضت على المسلمين. فالصلاة عند اليهود هي ثلاث مرات في اليوم وقوفا أو جلوسا وهي عبارة عن أدعية. أما عند المسلمين فهي خمس صلوات في اليوم. وكذلك فرضت التوراة يومًا واحدًا للصيام وهو صيام يوم الغفران (عاشوراء). وأما المسلمين فالصيام عندهم يمتد لشهر كامل.

وتبدأ الحكاية عند المسلمين في الإسراء والمعراج عندما فرض الله على المسلمين ٥٠صلاة في اليوم والليلة. وضمن غلبة تخمين المؤلف فإن الهداية التي قدمها الله للمسلمين تكافئ الـ ٥٠ صلاة. وبسبب جهود موسى عليه السلام فقد استطاع الرسول عليه السلام تخفيض الـ ٥٠ صلاة إلى خمسة. ولكن هناك أمورًا كثيرة قامت

بتعويض الـ ٤٥ صلاة: مثل صيام رمضان والحج وتحريم الخمر والقمار وتحريم الذهب والحرير على الرجال وأمور أخرى يغلب على تخمين المؤلف أنها لتعويض الـ ٤٥ صلاة.

وإذا انتبه القارئ فإن أحكام سيدنا نوح عليه السلام كانت أخف بمراحل كبيرة من أحكام التوراة. فحسب أخبار اليهود فإنه عندما نجا نوح عليه السلام من الطوفان واستقر على الأرض أوصاهم بسبعة قوانين فقط (Noahide Laws) وهي تحريم عبادة الأوثان وتحريم القتل وتحريم السرقة وتحريم الزنا وتحريم التجديف بإسم الله وتحريم القسوة على الحيوانات وإقامة العدل بين الناس.

ولكن النجاة والأمان اللذين قدمهما الله لبني إسرائيل والهداية التي وهبها الله تعالى لهم كان لها مقابل وهي العبادات والأحكام الموجودة في التوراة.

وهنا نرجع مرة أخرى إلى السؤال السابق: ماذا كان سيكون المقابل لقيام الله تعالى بوضع نظام تفصيلي كامل لنظام الحكم وحل المعضلة الكبرى في تاريخ الحضارات البشرية كلها؟

والسؤال السابق ليس مجازا وبلاغة، فنظام الحكم هو المعضلة الكبرى في تاريخ الحضارات السابقة والحالية. وجميع إنجازات الحضارات السابقة كانت تعود إلى طبيعة نظام الحكم، وانهيار هذه الحضارات كانت بسبب أخطاء وخلل في هذا النظام. فما هو المقابل لقيام الله عز وجل بحل هذه المعضلة الكبرى للمسلمين؟

والجواب على غلبة التخمين هو أضعاف أضعاف الخمسين صلاة في اليوم والليلة.

ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أن الإسلام قد وضع الكثير من الأنظمة ووضع الكثير من نصوص الإرشادات بما يكافئ العبادات التي فرضها الله على المسلمين. وأما نظام الحكم فقد تركه الله ورسوله لعقول المسلمين. وبالطبع فهناك إرشادات في النصوص عن أنظمة الحكم وهي إرشادات قد نبه لها المؤلف في كتاب

سابق (فلسفات الحكم والدستور) ولكن هذه النصوص تبقى إرشادية وليست تفصيلية.

وهذا هو السبب (ضمن وجهة نظر المؤلف) في تعمد الرسول عليه السلام لعدم الإشارة الصريحة أو التوصية لأحد بخلافته.

وهناك حديث شريف رواه أحمد:

" ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت قال حبيب فلما قام عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه فقلت له إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين يعني عمر بعد الملك العاض والجبرية فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فسر به وأعجبه" رواه أحمد في مسند الكوفيين من حديث حذيفة بن اليمان.

وسكت الرسول عليه السلام بعد الخلافة الثانية وهذا معناه (ضمن وجهة نظر المؤلف) أن الخلافة الثانية ستبقى حتى مشارف يوم القيامة. وهذا معناه أن الحضارة الإسلامية الحقيقية لم تبدأ بعد. وكل الألف وأربعمائة سنة الماضية كانت تسخين (Warming Up) بالضبط كانفجار البركان والأعاصير. فالبركان يبدأ بفرقعة يتبعها هدوء ثم يبدأ الانفجار الحقيقي والأعاصير تبدأ بزوبعة يتبعها هدوء ثم تبدأ العاصفة. وكذلك الحضارة الإسلامية، وما سبق من تاريخ ما هو إلا دراسة وخبرات وتجارب الخطأ والصواب. وأما الحضارة الإسلامية الحقيقية فقد حان أوانها مع قيام دولة الخلافة الثانية.

❖ الأقدار ستبقى تمكر بالمجتمعات وتمتحنها بالفتن:

وهذا قانون ثابت في ديناميكية المجتمعات. فديناميكية المجتمع هي من تقوم برفع الحضارة إلى العلياء ولكنها في نفس الوقت تحمل بذور الانهيار. وهذا موضوع تم شرحه بالتفصيل في الكتاب السابق "أفكار منهجية في البحث والتحليل والإدارة". والطريقة الوحيدة لعلاج هذه المشكلة يكون بالانتباه وبرودة الأعصاب والجدية.

وللتذكير فإن ديناميكية المجتمع لها أسماء أخرى فهي عجلة التاريخ وهي لعبة الأقدار وهي كذلك سنة الله في الكون والطبيعة. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن مكر الأقدار يكون من خلال ديناميكية المجتمعات. وقد قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]. والخسارة قد تحدث للمؤمن التقي الورع الكريم كما تحدث للظالم الفاسق الفاجر اللئيم. والذي يغلب على وجهة نظر المؤلف أن الصحابة الكرام قد خسروا الخلافة لأنهم أمنوا مكر الله، فقد كان عليهم أن ينظروا بحذر لمكر الله ويقوموا بخلق الأنظمة الكافية لتقويم أي اعوجاج يحدث.

وهنا نأتي للسؤال التالي: لماذا لم يقم الصحابة بالتفكير بجدية لعمل نظام للاستخلاف؟

والجواب ضمن غلبة ظن المؤلف أنهم ظنوا حُسن العاقبة وأن الله لن يُضيعهم. وهذا معناه أنهم أمنوا مكر الله.

وهناك آيات أخرى تتحدث عن الفتن:

قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء].
وهنا نعود إلى التذكير بضرورة قراءة تاريخ الفتنة ببرودة الأعصاب وهدوء النفس، وذلك لأنه من الضروري ترسيخ العِبَر من هذا التاريخ في وجدان المسلمين. والعبرة واضحة: فأفضل الناس بعد الأنبياء هم الصحابة الكرام وأفضل مجتمع بعد الأنبياء هو مجتمع الصحابة. ومجتمع كمجتمع الصحابة بلا نظام حكم واضح سيكون عمره ثلاثين سنة فقط ثم ملكا وظلما وانتهاكا وقهرا بعد ذلك. ومن الضروري ترسيخ هذه الفكرة في الوجدان لأنه من الضروري ألا نعيد أخطاء الماضي.

على أية حال فإن النظرة إلى النصوص توحي بأن دولة الخلافة الثانية ستبقى منيعة إلى مشارف يوم القيامة. وذلك بسبب حديث حذيفة بن اليمان السابق ذكره وبسبب الحديثين التاليين:

قال رسول الله عليه السلام: " وإني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور" رواه البخاري في الفتن.

وقال رسول الله: " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"رواه مسلم في الفتن.

والرجال الضِّعاف الذين يسقطون في الامتحانات الخفيفة لا تُعْرَضُ عليهم الامتحانات القاسية، لأنه في هذه الحالة لا يكون امتحانا لهم بل تعجيزا عليهم. وأما الامتحانات القاسية فهي لا تعرض إلا للرجال أولى العزم والبأس والشدة، وقمة الامتحان لا يتعرض لها إلاّ من اجتاز تلك الامتحانات القاسية. أمّا وأن يُبتلى المسلمون بالأعور الدجال فهذا يعني أنهم قد أثبتوا البلاء الحسن أمام الفتن السابقة وحان رَفْعُ درجة الامتحان لهم. وضمن إيحاءات النصوص فإن المسلمين سيثبتون أمام الدجال ثباتا حسنا ونزول عيسى عليه السلام ليس لإنقاذ المسلمين من الدجال وإنما للإمساك به وقتله.

❖ **أفضلية الصحابة:**

يوجد عند الشيعة الزيدية والشيعة الجعفرية رأي واضح بأن على بن أبي طالب هو أفضل الصحابة. والمؤلف يتفق مع المعنى لهذا الرأي ولكن ليس مع اللفظ:

عندما تقول إن زيدا أطول من جرير فهذه عبارة واضحة وكاملة. ولكن عندما تقول إن زيدا أفضل من جرير فهذه عبارة ناقصة؛ وذلك لأنه لا يوجد وضوح لكلمة أفضل. ولهذا السبب فعندما تقول إن زيدا هو أفضل من جرير فإن السؤال الطبيعي لهذه العبارة هو: أفضل بماذا؟ هل هو الأفضل بالحساب أم بالتجويد أم بالكرم أم بالحدادة..إلخ.

وهنا نرجع إلى السؤال التالي: عندما نقول: إن عليا هو أفضل الصحابة فما هو المقصود بأفضل؟

وبالطبع فإن على بشهادة عمر بن الخطاب هو أفضل الصحابة بالقضاء لقوله على أقضانا. وأما أكثر من تم تشريفه في الإسلام فهو زيد بن حارثة فهو الوحيد من الصحابة الذي تم ذكره ومدحه في القرآن صراحة في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

ولهذا السبب فإن كلمة أفضل غير مناسبة لأنها غامضة وغير محددة.

على أية حال فإن مصطلح "صحابة" هو مصطلح عام لمن عاشر الرسول عليه السلام. ولكن بالنسبة إلى زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب فعندهم صفة أخرى وهي أنهم أبناء الرسول من غير صلبه. فزيد بن حارثة كان اسمه زيد بن محمد فقد ألحقه الرسول عليه السلام به قبل الإسلام ومكث فترة طويلة في الإسلام يناديه الناس بزيد بن محمد حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ

وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ [الأحزاب]. وعندها قال زيد أنا زيد بن حارثة. ولكن القرآن اعترف ببنوة زيد للرسول عليه السلام من غير صلبه وذلك لقول الله تعالى: ﴿ ...وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ...﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء]، هو اعتراف بالأبناء من غير الأصلاب.

انتبه... عندما يقوم شخص بتبني طفل فإن نسب الطفل يبقى لأبيه ولكن تبقى العلاقة بين الشخص والطفل هي علاقة تبني.

وكذلك يوجد في الحديث: "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أمّر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وايم الله لقد كان خليقا للإمارة وإن كان أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى من بعده" رواه البخاري.

وأما بالنسبة إلى على بن أبي طالب فقد أخذه الرسول عليه السلام قبل الإسلام وهو صغير ليخفف من أعباء عمه أبى طالب ورباه في بيته. وكذلك قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي" رواه مسلم. وعلى غلبة ظن المؤلف فإن أقرب رجل لموسى عليه السلام هو هارون.

ولهذا السبب فإن وجهة نظر المؤلف أن أقرب الرجال إلى الرسول عليه السلام هما زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب.

ولكن ما من شك عند المؤلف أن أقرب أصدقاء الرسول عليه السلام إليه هما أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان. فأما أبو بكر فهو صاحبه في الهجرة وأما عثمان بن عفان فقد زوجه الرسول عليه السلام ابنتيه، فلما ماتت ابنته الأولى زوجه ابنته الثانية وقام الرسول عليه السلام بضرب يده اليسرى بيده اليمنى عن عثمان بن عفان في بيعة الرضوان في غزوة الحديبية.

ووزراء الدولة كانوا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وسواعد الدولة (كبار الموظفين) كانوا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري.

ومع أن المؤلف على اقتناع بأن أقرب الرجال إلى الرسول عليه السلام هما زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب إلا أن القرابة ليست سببا لأخذ الخلافة بعد الرسول. فالخلافة لها أولوياتها منها السن والخبرة. وكما تم شرحه سابقا فإن الطريق الذي يختاره المؤلف هو الطريق الذي اختارته الأنصار.

❖ مفهوم أهل البيت

من ملاحظة ديناميكية المجتمعات فإن المؤلف على اقتناع بأن وجود طبقة أشراف (نبلاء) في المجتمع هو أحد بذور الانهيار. ولهذا السبب فإن المؤلف ينظر نظرة الحذر والنفور من فصل المجتمع إلى طبقة أشراف وطبقة عموم (غير أشراف) حتى وإن كان هذا الفصل مجازيا.

وهذه النظرة مؤيدة بنصوص شرعية فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات].

وفي الحديث: "سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال فعن معادن العرب تسألونني. قالوا: نعم. قال: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا" رواه البخاري.

وهنا وجهة نظر وهي أن يوسف عليه السلام في حقيقة الأمر كان أكثر الناس شرفا كما سبق تبيانه ولكن لا يوجد أي نصوص تعطي للمسلمين من بني يوسف ويعقوب أي امتيازات دستورية أو قضائية أو اجتماعية خاصة من دون الناس.

وضمن ما سبق فإن وجهة نظر المؤلف أن القيام بوضع آل البيت (وبعد ١٤٠٠ سنة من وفاة الرسول عليه السلام) كطبقة أشراف في دولة الإسلام هو

تصرف خاطئ (بالنظر إلى ديناميكية المجتمع) كما أنه يخالف مفهوم الآية السابقة. ولهذا السبب فإن وجهة نظر المؤلف أن آل البيت (الآن) ليست لهم امتيازات دستورية خاصة من دون الناس، كما أنهم ليست لهم امتيازات قضائية ولا امتيازات اجتماعية وإنما توجد ناحية شرعية في موضوع الصدقة وتوجد ناحية معنوية يمكن الاستفادة منها في خدمة دولة الإسلام .

للتعمق في هذا الموضوع فعلينا أن ندرس الاختلاف في المصطلحات التالية:

بنو الرجل وذرية الرجل وأهل الرجل وآل الرجل وأهل بيت الرجل.

١. **بنو الرجل:**

بنو الرجل هم أولاده وأولاد الأولاد عبر الزمن. ودليله حديث الأشعث بن قيس: "أتيت رسول الله ﷺ في وفد لا يرون أني أفضلهم فقلت: يا رسول الله إنا نزعم أنكم منا قال: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا قال: فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد" رواه أحمد.

ولا يوجد أناس يمكن وصفهم أنهم من بني الرسول عليه السلام.

٢. **ذرية الرجل:**

غلبة الظن أن ذرية الرجل هم أولاده وبناته وكل من جاء منهم عبر الزمن. والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الانعام].

فكون عيسى عليه السلام من ذرية نوح وهو ابن مريم يجعل أولاد البنات من الذرية. وإحدى قصص العرب أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد قبض على رجل

يقول إن الحسن والحسين من ذرية الرسول ﷺ وهدده إن لم يأت بدليل من القرآن ليقتلنه فأعطاه الآية السابقة.

وذرية الرسول عليه السلام هي:

ذرية فاطمة الزهراء وهم ذرية الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى (أم كلثوم).

وذرية أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وهي بنت زينب بنت الرسول عليه السلام ولها ذرية.

٣. أهل الرجل:

أهل الرجل لها معانٍ كثيرة فهي تعني الورثة كقوله تعالى: ﴿...وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ...﴿٩٢﴾﴾ [النساء].

وكذلك تتضمن الإخوة كقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ [طه].

وتتضمن الزوجات كقول الله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف].

وتتضمن الآباء والأمهات كقول الله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾[يوسف].

وهي تعني الأقارب كقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء].

دعونا الآن ندخل إلى عالم الانتباه والتساؤل:

لنفترض أن هناك رجلا اسمه أرشيد ويعيش في الأرجنتين في أبعد نقطة في أمريكا الجنوبية وأنه من سلالة كورش الفارسي والذي عاش قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة.

الآن... إن أرشيد هو من ذرية كورش وهو كذلك من بني كورش ولكن هل نستطيع أن نقول أن أرشيد من أهل كورش؟

غلبة الظن أن هذا غير صحيح، إذ إن كلمة أهل لها معنى واضح في الذهن ولها معنى واضح في الاستعمال.

السؤال التالي: ابن كورش هو من أهل كورش ولكن أرشيد ليس من أهل كورش. فأين ينقطع الخط بينهما؟

الجواب: على غلبة الظن فإن أهل تعني الحاضر من الأقارب وبالتالي فإن الحفيد (وربما ابن الحفيد) هو من أهل فلان ولكن حفيد الحفيد لا يكون لأن أغلب الظن أن الرجل لن يعيش إلى حفيد الحفيد.

٤. آل الرجل:

آل في العصر الحالي تعني بني، فآل عائض هم بنو عائض وآل سعيد هم بنو سعيد. ولكن آل عند العرب الأولين تعني أهل. ويقول ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب إن أصل آل هي أهل أبدلت الهاء همزة فصارت أأل وتوالت همزتان فأبدلت الثانية ألفا (أي أصبحت أال وهي آل).

ولكن هناك رأيًا آخر لآل وهو يتعلق في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].

والرأي هو أن آل الرجل هم أتباعه وقومه ومن هو على دينه، وهذا الرأي يرويه المفسرون عن عبدالله بن عباس في تفسير الآية السابقة أنهم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد. وقرينة عبد الله بن عباس هي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران] وهم المؤمنون.

وهناك رأي في تفسير الطبري عن قتادة أن آل تعني أهل بيت: "ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم فكان محمد من آل إبراهيم".

وهناك رأي في تفسير القرطبي أن آل إبراهيم تعني إبراهيم نفسه وآل عمران تعني عمران نفسه. وقد أحضر القرطبي شواهد من اللغة على ذلك.

ولكن هناك آيات أخرى في موضوع آل:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف].

وقال الله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم].

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [البقرة].

وعلى غلبة ظن المؤلف فإن الآية الأخيرة هي التي تحمل حدود المعنى لكلمة آل، فجميع التفاسير لكلمة آل تتراوح بين الأتباع والأقارب (أي آل الرجل هم أتباعه وأقاربه) وبين أن تكون آل تعني الشخص نفسه (أي أن آل يعقوب تعني يعقوب نفسه).

ولكن من المستبعد أن تكون آل إبراهيم تعني إبراهيم نفسه لأن آية آل عمران-٣٣ تحدثت عن آدم ونوح ثم آل إبراهيم وآل عمران. والاختلاف في الوصف يتضمن الاختلاف في المعنى. أي أن هناك اختلافاً بين نوح وآل نوح.

وفي المقابل فإنه من المستبعد أن يكون آل هنا تعني الأقارب والأتباع لأنه إن كان ذلك صحيحا فلا يوجد داعٍ لذكر آل موسى وآل هارون معا إذ تكفي عبارة آل موسي لتعني أقارب موسى وهارون معا.

وبالاعتماد على أن أصل آل هي أهل فإن غلبة ظن المؤلف أن آل هي مجموعة أخص من الأهل وأعم من الشخص نفسه. وهذا معناه أن آل تعني أهل بيت الرجل (أي عائلته) وهم الرجل نفسه وزوجاته وأبناؤه وبناته وأحفاده.

ولهذا السبب فإن مريم وعيسى وزوجة عمران وعمران هم من آل عمران، كما أن إبراهيم وسارة وهاجر وإسحاق وإسماعيل وأولادهم وبناتهم هم من آل إبراهيم.

ولأن آل هي كلمة خاصة من أهل فإن ما ينطبق على أهل ينطبق عليها. فأرشيد الذي تحدثنا عنه سابقا هو من بني كورش ولكنه ليس من أهل كورش ولا من آل كورش.

ومن الضروري هنا أن نذكر أن المعاني الثلاثة لآل (الأتباع والأهل والعائلة) قد تم تضمينها في عبارة آل فرعون في ١١ آية في القرآن: فقد جاءت آل فرعون لتعني أتباعه في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة]. وجاءت آل فرعون لتعني أهله في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر]. وجاءت آل فرعون لتعنى (على غلبة الظن) العائلة في قول الله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص].

ويوجد هنا نقطتان:

كان الحسن والحسين يلعبان فأخذ أحدهما من تمر الصدقة فجعله في فيه فنظر إليه الرسول عليه السلام وأخرجها من فيه وقال: "أما علمت أن آل محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون الصدقة" رواه البخاري.

الآن ... الحسن والحسين وأولادهما هم من آل محمد حسب التحليل السابق ولكن ماذا عن أحفادهم بعد ١٤٠٠ سنة من وفاة الرسول عليه السلام؟

ضمن وجهة نظر المؤلف فإن آل تعني أهل بيت الرجل وأن بني الرجل بعد ١٠٠ سنة من وفاته ليسوا من آل الرجل.

ولكن انتبه إلى أن هذا التحليل ظني وليس يقينياً، ولهذا السبب فإنه من الأولى لبني الحسن والحسين أن يتعففوا من أموال الصدقة.

الأمر الثاني وهو في قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وإنه لمن طبيعة العرب التفاخر وهذا أمر لا يدري المؤلف إن كان سيختفي يوما أم سيبقى التفاخر عند العرب إلى يوم القيامة. والمشكلة هنا أن الله لم يذكر الرسول عليه السلام في الآية. وإذا انتبه القارئ إلى التفاسير فإنهم يجعلون محمدًا رسول الله وآل محمد من آل إبراهيم. وفي تفسير ابن كثير: "واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ".

ويستبعد المؤلف هذه المعانى وذلك للتحليل السابق عن آل. وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا يوجد أي شك في أن محمدًا رسول الله هو من بني إبراهيم عليه السلام ولكن لو كان محمد رسول الله وآل محمد هم من آل إبراهيم لما كان هناك داع لذكر آل عمران في الآية الكريمة السابقة وذلك لأن عمران وآل عمران هم من آلً إبراهيم. أي أن القرآن فرق بين آل إبراهيم وبين آل عمران مع أن عمران هو من بني إبراهيم عليه السلام. وهذا دلالة على أن بني الرجل وآل الرجل هما عباراتان مختلفتان.

ودلالة أخرى هي الدعوة الإبراهيمية قبل الانتهاء من الصلاة وهي الدعوة بالبركة والصلاة على محمد وآل محمد كما بارك الله وصلى على إبراهيم وآل إبراهيم. وهذا دلالة أن آل محمد وآل إبراهيم هما أمران مختلفان.

وهنا نأتي لموضوع الفخر:

لقد قال الله تعالى اصطفي آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ولكن لا يوجد تفسير واضح للمعنى المقصود بكلمة "اصطفى"، واصطفاء الله

لآدم ونوح وإبراهيم وعمران لا ينقص من قدر هود وصالح ولوط وموسى عليهم السلام. ولهذا السبب فإن محاولة إدخال الرسول عليه السلام وآل الرسول في هذه الآية هو تأويل ليس له داع. فقد حدد الله أربعة أسماء واضحة وترك الباقي وكان ممن ترك موسى عليه السلام وهو الوحيد (ضمن علم المؤلف) الذي كلمه الله تكليما.

٥. أهل بيت الرجل:

ذكر القرآن كلمة أهل البيت في المواضع التالية:

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ " [هود].

قال الله تعالى: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾[الأحزاب].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ ﴾ [القصص].

وأهل البيت بمعناه الحرفي هم ساكنوه مثال ذلك قول الرسول عليه السلام: "خمروا الآنية وأجيفوا الأبواب وأطفئوا المصابيح فإن الفوسيقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت" رواه البخاري.

وكذلك فإن أهل البيت تعني الناس الذين في البيت وقت الحديث. مثال ذلك حديث عن ثابت عن أنس بن مالك قال: "دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقال قوموا لأصلي بكم في غير وقت صلاة فصلى بنا فقال رجل لثابت: أين جعل أنسا منه؟ قال: جعله عن يمينه ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعى لي به أن قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه" رواه مسلم.

وكذلك فإن أزواج الرجل هم من أهل بيته كما في قول الله تعالى لزوجة إبراهيم في الآية السابقة من سورة هود وكما في قول الله لنساء النبي في الآية السابقة من سورة الأحزاب.

ولهذا فإن غلبة الظن أن آل الرجل وأهل بيت الرجل لهم نفس المعنى وهو الرجل نفسه وأزواجه وأولاده وبناته وأحفاده.

وعليه فإن أهل بيت الرسول عليه السلام هو الرسول عليه السلام نفسه وأزواج الرسول وبنات الرسول عليه السلام وأحفاد الرسول عليه السلام وهم الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى وأمامة بنت أبي العاص.

وكذلك على بن أبي طالب هو من أهل البيت للحديث الشريف عن عائشة: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" رواه مسلم. ولحديث الكساء عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله قال: أنت على مكانك وأنت على خير" رواه الترمذي.

طبعا هناك نقطة يجب إيضاحها في هذين الحديثين وهو أن الواضح من نصوص الآيات الكريمة أن أزواج الرسول عليه السلام هن من أهل البيت كما أن سارة هي من أهل بيت إبراهيم. ولهذا السبب فإن الحديثين السابقين لا ينسخان الآيات وإنما يمكن اعتبارهما دعوة خاصة للحسن والحسين وفاطمة وعلي. وكذلك إذا انتبه القارئ فإن أمامة حفيدة الرسول هي من أهل بيته ولم تكن ضمن حديث الكساء. وكذلك زينب الكبرى وزينب الصغرى بنات فاطمة الزهراء هن كذلك من أهل بيت الرسول ولم يكونا ضمن حديث الكساء. ولهذا السبب فحديث الكساء وحديث عائشة هما دعوات خاصة وليس نسخا لآيات القرآن.

وكذلك فإن زيد بن حارثة وأسامة بن زيد هما من أهل بيت الرسول عليه السلام حيث إن الإسلام قد أقر زيدا ابنا ليس من صلب للرسول عليه السلام.

ويوجد حديث شريف من الضروري الانتباه له وهو حديث زيد بن الأرقم:

قال زيد بن الأرقم: "قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة من بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة؟ قال: نعم" رواه مسلم. وفي نفس الرواية لمسلم هناك رواية أخرى عن زيد بن الأرقم: "فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى بيت أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده" رواه مسلم

وحديث زيد بن الأرقم فيه نص للرسول ﷺ وفيه رأي. وأما النص فكان واضحا وأما الرأي فإن وجهة نظر سيدنا زيد أن أزواج الرسول ليسوا من أهل بيته وأن الذين حرموا الصدقة هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. والمدرسة التي يتبعها المؤلف في الأصول تتضمن أن رأي الصحابي ليس حجة لأن نصوص الحجة هي كتاب الله وسنة الرسول ﷺ. وقد دلت آيات القرآن أن أزواج الرسول ﷺ هن من أهل البيت كما أن سارة هي من أهل بيت إبراهيم عليه السلام. وبالنسبة لتحريم الصدقة فأفضل المعلومات عند المؤلف أن التحريم جاء من حديث الرسول السابق ذكره أن آل محمد لا يأكلون الصدقة. وعليه فهناك الحاجة لنص صريح آخر للآخرين.

وهناك أحاديث تضع معنى مجازياً لأهل البيت كقول الرسول عليه السلام: "لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا" رواه أحمد. وهذا يدل على معنى مجازي لأهل البيت وهم على الأخص بني الحسن والحسين وعلى الأعم ذرية الرسول عليه السلام.

الخلاصة:

التحليل السابق كله كان بهدف التبيان أنه لا توجد أدلة تعطي امتيازات خاصة لبني الحسن وبني الحسين من دون الناس. وهناك نصوص لفضل فاطمة الزهراء وعلي والحسن والحسين وزيد بن حارثة وأسامة وزوجات الرسول عليه السلام ولكن كانت هذه الامتيازات خاصة لهم ولا يرثها أحد من بعدهم.

والخلاصة هنا أن بني الحسن وبني الحسين الآن بعد ١٤٠٠ سنة من وفاة الرسول عليه السلام ليست لهم امتيازات خاصة من دون المسلمين فلا يوجد لهم امتيازات دستورية في الدولة ولا يوجد لهم امتيازات قضائية ولا يوجد لهم امتيازات اجتماعية من دون المسلمين. وأفضل دليل على ذلك هو آية الإكرام ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴿١٣﴾﴾[الحجرات]. بالإضافة إلى المنطق السابق ذكره وهو أن المسلمين من بني يوسف عليه السلام والمسلمين من بني هارون عليه السلام والمسلمين من بني موسى عليه السلام ليست لهم امتيازات خاصة من دون الناس مع أن شرف النسب لهم عالٍ فهم أبناء أبناء أنبياء أبناء أنبياء أبناء أنبياء أبناء خليل الله.

وهذه نقطة جديرة بتكرارها فهناك من يقول: إن المحبة الخاصة لأحفاد الحسن والحسين الآن إنما هي في الواقع محبة للرسول عليه السلام. ولكن هذا المنطق لا يتوافق مع مواقف أخرى: فالمسلمون من بني موسى وبني هارون وبني يوسف وبني يعقوب لم يتلقوا محبة خاصة مع كونهم أحفاد الأنبياء أحفاد الأنبياء أحفاد خليل الله.

وبالطبع توجد هناك ناحية شرعية متعلقة بالصدقة وقد تم بحثها في فقرة سابقة.

وهناك كذلك ناحية معنوية: فأرشيد السابق ذكره هو بالتأكيد فخور بالانتماء إلى كورش وبالتأكيد سيكون له الاهتمام للاطلاع على تاريخ أسلافه. وهذا أمر طبيعي جدا. وكذلك بنو عمر بن الخطاب فسيكون عندهم الشعور بالفخر وسيكون عندهم حب الاطلاع على تاريخه.

وكذلك بنو الحسن وبنو الحسين فالانتماء إليهما مصدر افتخار ويؤدي إلى اهتمام أكبر لدراسة الإسلام . ولكن هذه الناحية المعنوية هي داخلية خاصة. فأرشيد لا يستطيع أن يتفاخر على الناس بأنه من بني كورش وكذلك بنو الحسن وبنو الحسين فهم لا يستطيعون أن يتفاخروا على الناس أنهم أحفاد الرسول عليه السلام. وإذا انتبه المتفاخرون من بني الحسن والحسين فإن الرسول عليه السلام عمه أبو لهب في النار وأن نوح عليه السلام (وأحد الأربعة الذين اصطفاهم الله) ابنه في النار. وإذا انتبه المتفاخرون من بني الحسن والحسين أن أكثر الناس مجدا هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ويوجد الآن الكثير من أحفاد يوسف عليه السلام وأحفاد يعقوب عليه السلام من أخلاقهم أرخص من الأنعلة التي يلبسونها.

النقطة هنا أنه لا يوجد بعد ١٤٠٠ سنة من وفاة الرسول تفاخر وإنما هو افتخار داخلي وناحية معنوية داخلية.

ولكن إذا أراد بنو الحسن وبنو الحسين التفاخر وأخذ أية امتيازات فعليهم بتحويل الناحية المعنوية (الشعور بالفخر للانتساب إلى الرسول عليه السلام) إلى ناحية عملية وذلك باختيار النوابغ من أبنائهم وتفريغهم لدراسة هذا الدين وكذلك القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه الظالمين.

وهنا فقط يمكن لبني الحسن وبني الحسين أن يكون لهم امتيازات وهذه الامتيازات لم تأت بشكل مباشر من الانتساب إلى الرسول وإنما جاءت نتيجة لسلسلة العلماء الجهابذة عندهم ولوقوفهم في وجه الظلم والطغيان. وهنا يحق لبني الحسن والحسين أن يقف الناس لهم، ولكن وقوف الناس لهم ليس لأن أبوهم قبل ١٤٠٠ سنة كان حفيد الرسول عليه السلام، وإنما يقف الناس لهم لوقوفهم هم أمام الظلم والطغيان وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وهذه هي الناحية المعنوية والتي يمكن أن تكون مفيدة في خدمة الدولة والمجتمع. فهذه الناحية المعنوية تقوم بدفع بني الحسن وبني الحسين لتفريغ النوابغ من أبنائهم لدراسة هذا الدين وكذلك قيام بني الحسن والحسين بالوقوف في وجه الظالمين. وإذا انتبه القارئ فهذه الناحية المعنوية ليست خاصة ببني الحسن وبني الحسين فأبناء الصحابة عندهم هذه الناحية المعنوية وكذلك أبناء المسلمين عامة. ولكن الملاحم التي حدثت لبني الحسن وبني الحسين قد تجعل الناحية المعنوية عندهم أكثر وضوحا.

وأما إذا لم يقف بنو الحسن وبنو الحسين في وجه الظالمين ولم يقوموا بتفريغ النوابغ من أبنائهم لدراسة هذا الدين فليست لهم أي امتيازات اجتماعية خاصة وهم والعموم من الناس سواء.

وهناك من سيقول إن المؤلف ما هو إلا حاسد للنعمة التي أنعمها الله على أهل البيت بانتسابهم وانتمائهم إلى الدوحة النبوية العطرة وأنه يريد حرمانهم من هذه النعمة الكريمة التي أنعمها الله عليهم، ويريد الآن أن يجعل أنساب أهل البيت الكرام متساوية مع أنساب الناس الآخرين ظلما وعدوانا.

وهذا الادعاء غير صحيح فالمؤلف ينتهي نسبه إلى عبد القادر الجيلاني والذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن على بن أبي طالب، كما أن جدة المؤلف ينتهي نسبها إلى الحسين بن على بن أبي طالب. فلا يوجد هنا حسد ولا غيرة ولا حرمان ولا ظلم ولا عدوان، وإنما توجد عند المؤلف وجهة نظر واضحة وهو أن وجود طبقة أشراف في المجتمع وطبقة عموم (غير أشراف) سيؤدي إلى انهيار هذا المجتمع. واعتمادا على آية الإكرام فإن المؤلف على اقتناع بالتحليلات والآراء التي وضعها هنا.

❖ العمامة الزرقاء

أحد الأمور التي يراها المؤلف خاطئة عند الإخوة الشيعة الجعفرية هو التمييز بين علماء بني الحسن والحسين وبين علماء الناس. فعلماء بني الحسن والحسين يلبسون

العمامة السوداء في حين أن علماء الناس يلبسون العمامة البيضاء. وهذا التمييز ليس له أصل عند الرسول عليه السلام ولا عند أهل بيته فلم يتميز الرسول ولا على ولا الحسن ولا الحسين ولا زيد ولا أسامة باللباس من دون الناس. وهذا الأمر سيسبب خلق طبقة أشراف وطبقات أخرى. ودعوة المؤلف هنا هي إنهاء لبس العمامة السوداء والبيضاء واختيار ألوان أخرى مختلفة دون تمييز بين العلماء.

وكذلك الدعوة هنا للتركيز قليلا على اللون الأزرق:

يوجد بعض الناس من تتحقق المنامات عنده وهناك من عنده فراسة النظر إلى المستقبل. وهذا يدل على أن الإحساس بالمستقبل هو موهبة تزيد عند البعض وتنقص عند البعض الآخر.

وكانت مشيئة الأقدار أن تكون هذه الموهبة عالية عند شخص اسمه نوسترا (نوستراداموس ١٥٠٣-١٥٦٦م، Nostradamus). ولكنه قام بما كان يقوم به كهان العرب فقد كانوا يخلطون الصدق بمئات الكذب. وكان أحد مؤلفاته كتاب التنبؤات وهو كتاب شعر وضع فيه نوسترا تنبؤاته عن المستقبل. وقد حاول الكثير أن يفهم المستقبل من هذا الكتاب ولكن دون جدوى. فطريقة الكتابة غامضة ومبهمة وكأنها ألغاز وأحاجي. وحقيقة الأمر فإن النظر إلى الكتاب لاستنباط المستقبل هو عبث ومضيعة جهد ووقت. والذي حدث عند محبي نوسترا هو انتباههم للأحداث التي وقعت وربط هذه الأحداث بكتاب نوسترا و الاستنتاج أن هذا ما قصده نوسترا في كتابه. ولكن لم يستطع أحد حتى الآن أن يستنتج أحداثاً مستقبلية من كتاب نوسترا. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن نوسترا ومحبيه كما قال المتنبي:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولكن دراسة كتاب نوسترا قد تكون مفيدة للدعاية والدعاية المضادة. فهناك الكثير والكثير من أهل أوروبا من يؤمن بهذا الكتاب. وهنا نأتي إلى اللون الأزرق ففي أحد أبيات الشعر فإنه يتحدث عن عدو لهم يلبس العمامة الزرقاء.

فدعوة المؤلف هنا هو لإنهاء التمييز بين العلماء وكذلك الدعوة إلى لبس العمامة الزرقاء (أو التركيز عليها). وهذا ليس تصديقا لنوسترا فهو كاذب وإن صدق، وإنما الدعوة إلى العمامة الزرقاء هو "جكارة" ومناكفة لأهل أوروبا. والجكارة لها مفعولها إن تم استخدامها بمهارة.

❖ تقبيل الأيادي

هناك صفة ينفر منها المؤلف وهي منتشرة في كثير من الأماكن في العالم الإسلامي وهي تقبيل أيادي العلماء والقادة والكبار. وهناك ثلاثة أسباب لهذا النفور هو أن هذه العادة لم تكن منتشرة في عهد الرسول عليه السلام. وهناك روايات عن تقبيل الأيادي ولكنها كانت أحداثاً عابرة ولم يتحول تقبيل الأيادي إلى عادة عامة. والسبب الثاني أن تقبيل الأيادي مدعاة إلى التقديس. والسبب الثالث وهو أن تقبيل الأيادي يتطلب الركوع وهو أمر (ضمن وجهة نظر المؤلف) شديد الخطأ لأن الركوع يجب ألا يكون إلا لله.

والدعوة هنا إلى الأخوة السنة والشيعة أنهم إذا أرادوا أن يستمروا في هذه العادة (تقبيل الأيادي) فياحبذا لو يقوموا بها وهم واقفون.

❖ الأسماء

هذا الموضوع له حساسية عندي وأقدم الاعتذار إلى الإخوة الشيعة لشدة الخطاب هنا:

إنه لمن العجب من قوم يحبون الرجل ويظهرون حبهم له في كل مناسبة ويعلنون الولاء والطاعة له ولا يقتدون به. وإن أفضل الأمثلة على ذلك هم النصارى فهم على شدة تقديسهم للمسيح عليه السلام فإنهم كذلك شديدو الابتعاد عن تعاليمه.

وهذا الأمر يحدث كذلك مع الإخوة الشيعة في إعلانهم المحبة والولاء لعلي بن أبي طالب وأهل بيته الكرام:

إن ذرية على بن أبي طالب كبيرة ولكن أريد أن أذكر بعض الأسماء هنا:

عمر الأطرف بن على بن أبي طالب.

عمر الأصغر بن على بن أبي طالب

عمر بن الحسن بن على بن أبي طالب (أحد شهداء كربلاء).

عمر الأشرف بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب.

والمشكلة هنا أنه لا يوجد أحد من الشيعة الجعفرية الآن من يسمي أولاده عمر وإنما الظاهر أن اسم عمر عندهم كاسم معاوية. وهذا ليس اقتداءً بعلي بن أبي طالب ولا اقتداءً بأهل بيته في تسمية الأولاد.

والحساسية عندي هو أنني ومنذ أوائل التسعينيات وأنا أذكر حزب الله بالخير ولكن كان بعض معارفي وقتها ينتقدونني في ذلك. وفي أي نقاش يحدث في هذا الموضوع فإن أحد وجبات النقاش هي عبارات السخرية التالية:

* كيف بدّافع (تدافع) عن الشيعة واسمك عمر.

* كيف بدّافع عن الشيعة وهم إذا لقوك بيذبحوك عشان اسمك.

* أنت ما بتقدر اتكون شيعي واسمك عمر.

* قبل ما ادّافع عن الشيعة روح غيَّر اسمك.

وحقيقة أنه لا توجد مشكلة في اسمي وإنما المشكلة الحقيقية هي أن الإخوة الشيعة لا يتقيدون بأهل البيت في تسمية أولادهم.

❖ الكف عن رفع صور الزعماء

هناك صفة موجودة في ثقافة الشرق الأوسط ومنذ قرون طويلة وهي تقديس الزعماء. وإن خروج الناس في المظاهرات بصور زعمائهم (كالخميني وخامئني وحسن

نصر الله وعبد الناصر وغيرهم) هو مظهر من الممكن وصفه بالتقديس وهو مظهر يجب التوقف عنده.

تم تعريف التقديس أنه منتهى الاحترام القلبي. وهذا التعريف ليس واضحا تماما حيث إنه لا يقدم حدودا واضحة بين الاحترام والتقديس. والحق فإن التقديس مثله مثل الكثير من المشاعر ليس من السهل تعريفه ولكن من السهل وضع الأصبع عليه.

فنظرة المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز هي نظرة احترام، ونظرة المسلمين إلى خالد بن الوليد هي نظرة احترام، ونظرة الصحابة إلى عمر بن الخطاب هي نظرة احترام، ونظرة الأتراك الإسلاميين الآن لنجم الدين أربكان هي نظرة احترام. ولكن نظرة الإخوة الشيعة إلى الخميني هي نظرة تقديس، ونظرة بعض الناس إلى جمال عبد الناصر هي نظرة تقديس، ونظرة الشيوعيين إلى لينين وماركس هي نظرة تقديس، ونظرة السنة إلى أئمة المذاهب الأربعة هي نظرة تقديس. ونظرة السلفية إلى ابن تيمية هي نظرة تقديس. ونظرة الأتراك العلمانيين لأتاتورك هي نظرة تقديس.

ويمكن وضع إطار لتقديس الزعماء فهو النظر إلى الزعيم (أو القائد أو عالم الدين) بهالة تجعله فريدا من نوعه وتضع عنه الأخطاء وتضع له المكارم، ويتم الحديث عنه وكأنه منحة من السماء وأنه لولاه لما كان الخير والانتصار، ويتم التنكيل بكل من يتجرأ على انتقاد الزعيم ويتم المدح لكل من ذكر هذا الزعيم بالدعاء والتبجيل، ولا يتم ذكر الزعيم إلا بكل مظاهر الفخامة والتكريم والتبجيل والولاء،..إلخ.

دعونا ننظر إلى هذا الأمر بتفصيل. لا أحد يستطيع نكران الفضل لحسن نصر الله (على سبيل المثال) ولكن حزب الله لم ينتصر في المعارك بسواعد حسن نصرالله فقط وإنما كانت هناك سواعد أخرى كثيرة ساهمت في الانتصار. ولهذا فإما أن يتم رفع صور جميع القيادات أو ألا يكون هناك صورة لأي قائد.

وإذا نظرنا إلى حقيقة الأمر فإن الانتصارات والإنجازات عند حزب الله وفي إيران جاءت من قوة المؤسسات. وحسن نصرالله وخامئني هما رجال ضمن هذه

المؤسسات وليسوا هما المؤسسات. والانتصار دائما ممكن للمؤسسات القوية بغض النظر عن قائدها. وأما إذا جاء النصر والإنجاز بقوة القائد وحده فإن هذه المؤسسة لا تستحق العلياء وسوف تزول هذه المؤسسة بمجرد زوال القائد.

لقد عاشت الأمة الإسلامية قرونا طويلة تحت قيادات ديكتاتورية فردية مطلقة وحان الوقت كي تنتهي هذه العادة تماما و إلى الأبد والاستعاضة عنها بقيادة المؤسسات. ولكي يصبح للمؤسسات الاحترام الأكبر في وجدان الناس فمن الضروري الابتعاد عن أي مظهر من مظاهر تمجيد الفرد. ولقد كانت إحدى القرارات الأولى لعمر بن الخطاب أن أخرج خالد بن الوليد عن قيادة الجيش وذلك لأن الناس قد افتتنوا به. وهذه نقطة مهمة وهي أن المسلمين قد انتصروا بغير خالد، وإن جاء انتصارهم أقل سرعة، ولكنهم انتصروا.

يجب هنا التنبيه لقوة ديناميكة موجودة في المجتمعات الإنسانية وهو أن أي تطرف في اتجاه سيؤدي وبشكل غريزي إلى ظهور تطرف في الجهة المقابلة. فعلى سبيل المثال فإن شدة الاستهزاء بأحكام الإسلام سيؤدي إلى قيام جماعة يكون لها شدة التطرف في تطبيق الإسلام . وكذلك الحال في موضوع التقديس فإن شدة التبجيل (وهو أحد مظاهر التقديس) لشخص سيؤدي إلى قيام الكثير من الناس بالنفور من ذلك الشخص.

وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم].

وقال رسول الله عليه السلام : "لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله" رواه البخاري.

وكذلك قال رسول الله عليه السلام: "من كان منكم مادحا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه" رواه البخاري.

❖ الناس تبع لقريش

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنص للبخاري.

ولقد تردد المؤلف كثيرا في مناقشة هذا الحديث حذرا من أي جدل أو اتهام قد يوجه إليه ولكنه في النهاية قد عزم آملا أن ينتبه القارئ (أيا كانت قناعاته) إلى محاولة تحري الصدق في عرض هذا الموضوع.

هناك الأمور التالية والتي تضع علامات استفهام في أحاديث الخلافة في قريش:

* هناك ثلاث آيات (آيات الاستبدال) يتعارض مفهومها مع أحاديث الخلافة في القريش:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد].

* لقد تم شرح قاعدة أبي حنيفة الأصولية في حديث المصالحة وهذه القاعدة تتعارض مع الأحاديث المتعلقة بخلافة قريش. والسبب هو أن هذه الأحاديث لم يتم طرحها أثناء الخلاف الذي صار بين الأنصار وأبي بكر في سقيفة بني ساعدة. ولم يتم طرحها في الخلاف والنقاش الذي حدث بين على بن أبي طالب وأبي بكر الصديق بأولوية الخلافة (إذ إن حديث "الناس تبع لقريش" هو دليل على أن الخلافة ليست

خاصة لبني هاشم) كما أن خطبة عمر بن الخطاب المشهورة والتي وصف فيها بيعة أبي بكر بالفلتة لم تتضمن أي إشارة إلى هذا الحديث.

فالنقطة هنا أن هناك اختلافات عميقة متعلقة بهذا الموضوع والمنطق يقتضي أن تشتهر هذه الأحاديث ذلك الوقت. ولكن الذي حدث هو ظهور هذه الأحاديث في الكتب بأخبار آحاد أو أحاديث مشهورة من شخص واحد فقط (كحديث أبى هريرة وحديث جابر بن سمرة).

* هناك مخالفات تاريخية واضحة لكثير من أحاديث الخلافة في قريش. وهذا سيتم تبيانه هنا.

يجب التنبيه إلى أن حديث أبي هريرة وحديث جابر بن سمرة مشهورة ومتكررة في الكتب وبرواة مختلفين ولهذا السبب فإن المؤلف قد وضع هنا بعض الروايات لحديث أبى هريرة وحديث جابر بن سمرة.

والأحاديث التالية هي ما استطاع المؤلف الإحاطة بها وربما يكون هناك أحاديث أخرى لم يتمكن المؤلف من إدراكها ولكن نظرة المؤلف واستنتاجاته متعلقة بالأحاديث التالية:

أ. المجموعة الأولى:

حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأودي عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر في طائفة المدينة قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا مات محمد ﷺ ورب الكعبة فذكر الحديث قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر ولم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال: وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع

لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء. رواه أحمد

التعليق:

حميد بن عبد الرحمن (كما ذكر ابن المنذر النيسابوري) لم يدرك أبا بكر الصديق ولهذا السبب فالحديث فيه انقطاع. كما أن المعروف أن سعد بن عبادة لم يقم بمبايعة أبى بكر ولا عمر. وكلمة الوزراء والأمراء هي كلمة لأبي بكر.

ب. **المجموعة الثانية:**

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. رواه البخاري ومسلم وأحمد والنص للبخاري. وهذا الحديث مشهور ومتكرر في الكتب وبرواة مختلفين.

التعليق:

إذا أخذنا المقارنة بشكلها الحرفي في عبارة "مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم) فإن مشركي العرب ومشركي يثرب لم يكونوا تبعًا لمشركي قريش. فقد كانت قريش إحدى سادات العرب ولم يكونوا ملوكهم.

ولكن من الممكن جدا أن تكون المقارنة مجازية وبالتالي فإن نقطة الاستفهام في هذه المجموعة هي مخالفتها لمفهوم آيات الاستبدال وكذلك لمخالفتها لمنطق قاعدة أبي حنيفة.

وكذلك فإن المسلمين منذ أكثر من ١٠٠٠ سنة ليسوا تبعا لقريش فقد جاءت أقوام وأقوام غير قريش وحكموا العالم الإسلامي.

وكذلك فإن قريشاً ككيان قد انتهى منذ زمن طويل. وبالطبع فهناك سلالات تنتسب إلى أبناء قريش كبني الحسن وبني الحسين وبني عمر وبني العباس.

ولكن قريشًا كقبيلة قد انتهت بالضبط كقبيلة بني عبس، فهناك من ينتسب إلى عنترة بن شداد ولكن كيان عبس نفسه قد انتهي وكذلك قبيلة نمير وأسد.

وبالنسبة إلى قريش فهناك إشارات تدل على أن كيان قريش كان موجودا في عهد أبي العباس السفاح وهناك قصة مشهورة له أنه لقي أعرابياً فسأله الأعرابي ممن الرجل؟ فأجاب من كنانة فقال الأعرابي: من أي كنانة فقال من أبغض كنانة إلى كنانة فقال: أنت من قريش قال: نعم قال: من أي قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش فقال أنت من ولد عبد المطلب قال: نعم قال: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب قال: فأنت إذن أمير المؤمنين. وإذا صحت هذه القصة فهذا معناه أن قريشًا كان لا يزال لها كيان في عهد أبي العباس السفاح ولكن على أغلب تخمين المؤلف فإن قريشًا قد انتهت ككيان وقبيلة في أواخر العهد العباسي.

ج. **المجموعة الثالثة:**

حدثنا عبد الله حدثني محمد بن سليمان لوين حدثنا محمد بن جابر عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رويبة عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت أذناي ووعاه قلبي عن رسول الله ﷺ: "الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم". رواه أحمد

التعليق:

التعليق في المجموعة الثانية مكرر هنا. وكذلك فإن هناك بعض الملاحظات في سند هذه الرواية:

محمد بن جابر بن سيار:

عند ابن حجر: صدوق ذهبت كتبه فساء حفظه وخلط كثيرا.

عند الذهبي: سيئ الحفظ، قال أبو حاتم: هو أحب إلى من ابن لهيعة.

عبد الملك بن عمير بن سويد:

عند ابن حجر: ثقة فصيح عالم تغير حفظه وربما دلس.

عند الذهبي: قال أبو حاتم: صالح الحديث، ليس بالحافظ، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس.

د. **المجموعة الرابعة:**

١. حدثني يحيى بن حبيب الحارثي حدثنا روح. حدثنا ابن جريج. حدثني أبو الزبير؛ أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: قال النبي ﷺ: "الناس تبع لقريش في الخير والشر". رواه مسلم

٢. حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "الناس تبع لقريش في الخير والشر". رواه أحمد

٣. حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي سفيان [طلحة بن نافع] أن النبي ﷺ قال: "الناس تبع لقريش في الخير والشر". رواه أحمد

٤. حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال النبي ﷺ: "الناس تبع لقريش في الخير والشر". رواه أحمد

التعليق:

التعليق في المجموعة الثانية مكرر هنا. وهناك بعض الملاحظات في سند هذه الرواية:

* حديث جابر (رواية مسلم وأحمد،د.١ ود.٤):

ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج):

عند ابن حجر: ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل.

عند الذهبي: أحد الأعلام.

أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس):

عند ابن حجر: صدوق إلا أنه يدلس.

عند الذهبي: حافظ ثقة، وكان مدلسا واسع العلم، قال أبو حاتم: لا يحتج به.

* حديث جابر (رواية أحمد – د.٢ ود.٣):

الأعمش (سليمان بن مهران):

عند ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس.

عند الذهبي: الحافظ، أحد الأعلام.

أبو سفيان (طلحة بن نافع):

عند ابن حجر: صدوق.

عند الذهبي: قال جماعة: ليس به بأس.

هـ. المجموعة الخامسة:

١. حدثني محمد بن المثنَّى: حدثناغندر: حدثنا شعبة، عن عبد الملك: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يكون اثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: (كلهم من قريش). رواه البخاري.

٢. حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جرير عن حصين، عن جابر ابن سمرة. قال: سمعت النبي ﷺ يقول. وحدثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي (واللفظ له). حدثنا خالد (يعني ابن عبدالله الطحان) عن حصين، عن جابر بن سمرة. قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ. فسمعته يقول (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم

اثنا عشر خليفة). قال: ثم تكلم بكلام خفي علي. قال فقلت لأبي: ما قال؟ قال (كلهم من قريش). رواه مسلم.

٣. حدثنا ابن أبي عمر. حدثنا سفيان عن عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سمرة. قال: سمعت النبي ﷺ يقول (لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا). ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي. فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال (كلهم من قريش). رواه مسلم.

٤. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أبو معاوية عن داود، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة. قال: قال النبي ﷺ (لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة). قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال (كلهم من قريش). رواه مسلم

٥. حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة. قالا: حدثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص. قال: كتبت إلى جابر بن سمرة، مع غلامي نافع: أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فكتب لي: سمعت رسول الله ﷺ، يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي، يقول (لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة. أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة. كلهم من قريش) وسمعته يقول (عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض. بيت كسرى. أو آل كسرى). وسمعته يقول (إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم). وسمعته يقول (إذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته). وسمعته يقول (أنا الفرط على الحوض). رواه مسلم.

٦. حَدَّثَنَا أبو كُريب أخبرنا عمرُ بنُ عُبيد عن سماكِ بنِ حربٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم (يكونُ من بَعدِي اثنا عشرَ أميراً قال: ثُمَّ تكلَّمَ بشيءٍ لم أَفهمْهُ فسألتُ الَّذي يَليني فقال قال كلُّهُم من قُريشٍ) رواه الترمذي.

٧. حدثنا عَمْرُو بنُ عُثْمانَ أخبرنا مَرْوَانُ بنُ مُعَاوِيَةَ عن إسْمَاعِيلَ ـ يَعني ابنَ أبي خَالِدٍ ـ عن أبيه عن جَابِرِ بن سَمُرَةَ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لاَ يَزَالُ هَذَا الدّينُ قَائِماً حَتّى يَكُونَ عَلَيْكُم اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الأُمّةُ فَسَمِعْتُ كَلاَماً مِنَ النّبيّ ﷺ لَمْ أفْهَمْهُ، فقُلْتُ لأبِي: مَا يَقُولُ؟ قالَ: كُلّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ". رواه أبو داود.

٨. حدثنا عبد الله حدثني سريج بن يونس عن عمر بن عبيد عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون من بعدي اثنا عشر أميرا فتكلم فخفي على فسألت الذي يليني أو إلى جنبي فقال: كلهم من قريش. رواه أحمد

التعليق:

انتبه... الأحاديث المروية عن جابر بن سمرة كثيرة ومن رواة عدة وقد اختار المؤلف بعضها وترك المتكرر فيها.

هذا الحديث لم ينتشر إلا عن جابر بن سمرة وهو بهذا يخالف قاعدة أبي حنيفة لأن منطق الأمور يتطلب أن ينتشر هذا الحديث بعد سقيفة بني ساعدة وخلاف على مع أبي بكر.

وكذلك النص "لا يزال هذا الدين قائما حتى ....." ليس له واقع واضح، فالخلافة بقيت ذات هيبة حتى موت الواثق العباسي وبعدها استفرد الجيش بالسلطة وأصبح خلفاء بني العباس دمية بأيديهم واستقلت الولايات عن العاصمة. والخلفاء ذوو البيعة الشرعية حتى الواثق هم: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، الحسن، معاوية، عبد الله بن الزبير، عبد الملك، الوليد، سليمان، عمر، يزيد، هشام، الوليد بن يزيد، يزيد بن الوليد، إبراهيم بن الوليد، مروان بن محمد، السفاح، المنصور، المهدي بن منصور، الهادي بن مهدي، هارون بن مهدي، الأمين، المأمون، المعتصم بن هارون، الواثق بن معتصم. والخلافة بقيت لها الهيبة حتى الخليفة السادس والعشرين. أما الخليفة الثاني عشر فهو يزيد بن عبد الملك.

و. **المجموعة السادسة:**

١. حَدَّثَنَا حسينُ بنُ مُحَمَّدٍ البصريُّ أخبرنا خالدُ بنُ الحارثِ أخبرنا شُعبةُ عن حبيبِ بنِ الزُّبيرِ قال سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أبي الهُزيلِ يقول: كانَ ناسٌ من ربيعةَ عندَ عمرِو بنِ العاصِ فقال رجلٌ من بكرِ ابنِ وائلٍ لتَنتَهِينَّ قريشٌ أو لَيَجعلَنَّ اللهُ هذا الأمرَ في جمهورٍ من العربِ غيرِهم فقال عمرو بنُ العاصِ كَذَبْتَ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم يقول: (قريشُ ولاةُ النَّاسِ في الخيرِ والشَّرِّ إلى يومِ القيامةِ). رواه الترمذي

٢. حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن الزبير قال: سمعت عبد الله بن أبي الهذيل قال: كان عمرو بن العاص يتخولنا فقال رجل من بكر بن وائل لئن لم تنته قريش ليضعن هذا الأمر في جمهور من جماهير العرب وسواهم فقال عمرو بن العاص: كذبت سمعت رسول الله ﷺ يقول قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة. رواه أحمد

التعليق:

التعليق في المجموعة الثانية مكرر هنا وفيه إضافة:

لو أن الرواية كانت "قريش ولاة الناس" وفقط لكان بالإمكان تفسيرها على أنها طلب بصيغة الوصف، أي يكون المعنى أن قريشا هم من يجب أن يكونوا ولاة هذا الأمر. ولكن إضافة عبارة "إلى يوم القيامة" جعل النص أقرب إلى الوصف منه إلى الطلب. وهو وصف لم يتحقق منذ أن استلم العثمانيون الخلافة قبل ٥٠٠ سنة. وكذلك فإن هذه الرواية مخالفة لمفهوم آيات الاستبدال.

ز. **المجموعة السابعة:**

١. حدثنا أبو الوليد: حدثنا عاصم بن محمد قال: سمعت أبي، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان). رواه البخاري.

٢. حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس. حدثنا عاصم بن محمد ابن زيد عن أبيه. قال: قال عبدالله: قال رسول الله ﷺ (لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس اثنان). رواه مسلم.

التعليق:

الحديث غريب وله سلسلة رواة واحدة وكل الرواة في هذا الحديث ثقات وعدول. ولكن تبقى مشكلة قاعدة أبي حنيفة فهذا النص كان يجب أن يشتهر بعد سقيفة بني ساعدة وخلاف على مع أبى بكر. وكذلك فهي مخالفة لمفهوم آيات الاستبدال ومخالفة للواقع بعد استلام العثمانيين الخلافة.

ولكن هذا الحديث يمكن التوفيق بينه وبين نصوص الاستبدال وبينه وبين الواقع إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الخلافة استمرت في قريش حتى تلاشى كيان قريش نفسه في السنوات الأخيرة من الخلافة العباسية.

ولكن يبقى هذا الحديث مخالفاً لقاعدة أبي حنيفة.

ح. **المجموعة الثامنة:**

١. حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم قال حدثنا عبد الله بن مبشر مولى أم حبيبة عن زيد بن أبي عتاب عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما امرأة أدخلت في شعرها من شعر غيرها فإنما تدخله زورا. قال وقال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في هذا الأمر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والله لولا أن تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله عز وجل. قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وخير نسوة ركبن الإبل صالح نساء قريش أرعاه على زوج في ذات يده وأحناه على ولد في صغره. رواه أحمد

٢. حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث: أنه بلغ معاوية، وهو عنده في وفد من قريش: أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث: أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى ، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين). رواه البخاري.

التعليق:

هناك من يقدح معاوية في عدالته بسبب حديث المعاداة (" اللهم وال من والاه عاد من عاداه" رواه أحمد) وحديث البغي ("ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" رواه البخاري)، وهناك من لا يقدح بعدالته. ولا يريد المؤلف الجدال في هذه النقطة ولكن يبقى عبد الله بن عمرو بن العاص أعلى وأجل من معاوية فالأول من المهاجرين والثاني من الطلقاء.

ومهما كان الأمر فإن هذه الرواية تتعارض مع قاعدة أبي حنيفة وآيات الاستبدال.

من المناسب هنا ذكر فقرة من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني والمتعلقة بهذا الموضوع:

بداية الاقتباس:

الحديث: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ.

الشرح: حديث ابن عمر " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان " قال الكرماني: ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف الحديث؟ وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر، وتعقب بأن الذي في الغرب هو الحفصي صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبي حفص رقيق عبد المؤمن صاحب ابن تومرت الذي كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته، ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبي حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش؛ وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته.

وأما أبو حفص فلم يكن يدعي أنه من قريش في زمانه، وإنما ادعاه بعض ولده لما غلبوا على الأمر فزعموا أنهم من ذرية أبي حفص عمر بن الخطاب، وليس بيدهم الآن إلا المغرب الأدنى، وأما الأقصى فمع بني الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار، وأما الأوسط فمع بني مريم وهم من البربر.

وأما قوله: " فخليفة من مصر " فصحيح ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط، وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد، ويحتمل حمله على ظاهره وأن المتغلبين على النظر في أمر الرعية في معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون أن الخلافة في قريش ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم، والأول أظهر، والله أعلم.

انتهي الاقتباس.

❖ جدال المشككين والمتشددين

المقالة السابقة (الناس تبع لقريش) قد تسبب في ظهور الجدال خصوصا بين المشككين والمتشددين:

جدال المشككين:

إذا ثبت أن أحاديث خلافة قريش عليها علامات الاستفهام وهي الأحاديث التي رواها الجهابذة الأعلام فلماذا نثق بباقي الأحاديث النبوية؟

والجواب هو أن الإنسان ملزم في هذه الدنيا ضمن حدود علمه وإمكانياته، وخارج هذه الحدود فهو غير ملام. وضمن حدود العلم والإمكانيات فإن الرواية التي يتم توثيقها من ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن كبار الصحابة عن الرسول عليه السلام هي رواية ذات مصداقية وذات صحة عالية والأصل فيها أخذها. ولكن يبقى الخطأ ممكناً بسبب النسيان أو الارتباك أو المرض أو العمر..إلخ. فالأصل في الرواة الثقات هو الثقة والقبول إلا إذا ظهرت قرائن تفيد عكس ذلك. وبالنسبة إلى حديث المصالحة وأحاديث خلافة قريش فإن المؤلف قد وضع الأسباب التي تجعله يرى ضرورة النظر بعمق إلى هذه الأحاديث وبحثها بجدية. ولكن هذه الأسباب تبقى متعلقة بهذه الأحاديث فقط ولا تتعداها إلى أحاديث أخرى.

وأفضل مثال على ذلك هو الرجل العالم المتمكن في علم النباتات ويقوم بوضع كتاب تصنيف في هذا العلم فإن هذا العمل سيتم اعتماده كمرجع. ولكن هذا المرجع لن يكون معصوما من الخطأ. فالعالم وكتابه ثقة ولكن ليس مستبعدا أن يتم اكتشاف بعض الأخطاء فيه. وهذه الأخطاء لا تقوم بنسف الثقة بهذا المرجع وإنما يبقى المرجع ثقة ويتم تعديل الأخطاء فيه.

ومع وضوح المنطق السابق فإن هذا لا يمنع رجل (وليكن اسمه جرير) إذا لم يعجبه الحديث في صحيح البخاري أن يقول إنه ثبت بعض الأخطاء في صحيح البخاري وربما يكون هذا الحديث منهم. وهذا المنطق من جرير هو "منطق السوبرجلو" (Superglue). ومنطق السوبرجلو هو المنطق الذي يستطيع أن يستعمله أي شخص مهما كان علمه أو جهله وفي أي وقت يريد وفي أي مكان. مثال ذلك هو العبارة المشهورة في فض النزاع: "امسحها بهاللحية" (امسحها بهذه اللحية). فهذه عبارة سوبرجلو إذ يستطيع أن يستخدمها أي الشخص وفي أي موقف يريد. وحتى الأولاد الصغار الذين ليس لديهم أي شعر على وجوههم تراهم يستخدمونها.

والمؤلف هنا لا ينتقد استعمال العبارة السابقة ولا ينتقد مستخدميها ولكن أراد المؤلف هنا شرح المقصود بالسوبرجلو. وكذلك جرير السابق ذكره فالمنطق

الذي يستخدمه يستطيع أن يستخدمه أي شخص دون أي جهد للتشكيك بأي قضية بما فيها القوى العقلية لجرير نفسه.

والحقيقة أن الأمور التي يمكن إثباتها بشكل قطعي محدودة جدا في هذه الحياة وأما باقي الأمور فهي مبنية على غلبة الظن. فالعلوم والمهارات الإدارية والسياسة والاستراتيجية وعلوم الطب وعلوم السلوك كلها علوم ومهارات مبنية على غلبة الظن. وعندما نأتي بحديث عن ثقة حافظ عن ثقة حافظ عن ثقة حافظ فإن هناك غلبة ظن على صحة هذا الحديث.

وقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على الكثير من أحاديث الكتب الستة وأحمد دون تحقيق. ويكفي للمؤلف أن الستة وأحمد قد اجتهدوا قدر استطاعتهم على جمع الأحاديث الصحيحة. وإذا جاء جرير ولم يعجبه حديث في البخاري فعليه أن يسهر الليالي ويبحث السند والرواة وينظر إلى القرائن. فإن وجد القرينة التي تدعم وجهة نظره فكان به. ولكن إن لم يجد القرينة أو لم يجد الدافع لسهر الليالي فالأولى أن يسكت. فأنت لا تستطيع رد الثقة إلا بأدلة ثقة.

جدال المتشددين:

أما جدل المتشددين فهو أنه إذا نحن سمحنا لأي مناقشة تتعلق بالأحاديث التي رواها الجهابذة فإن هذا قد يؤدي إلى قيام الناس بالشك بجميع الأحاديث الأخرى. ولهذا فمن الخطأ والخطر الشديدين السماح بمثل هذه المناقشات.

والحرص هو أمر طبيعي عند الإنسان. وتجد الكثير من الفقراء من يكون كريما معطاءً ولكن عندما تبدأ الأموال تأتي إليه فستجد الكثير منهم يزداد حرصا.

وكذلك كان الحرص عند هاجر عليها السلام على ماء زمزم فقد قال الرسول عليه السلام: "رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً" رواه أحمد.

وكذلك حدث هذا الحرص لعبد الله بن مسعود:

عن شقيق بن سلمة قال: "كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن، إذا أجنب فلم يجد ماء، كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء. فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار، حين قال له النبي ﷺ: (كان يكفيك). قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا، لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم. فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا؟ قال: نعم" رواه البخاري.

وبالنسبة لوجهة نظر المؤلف فقد ترك سيدنا عبدالله بن مسعود الأولى في هذه النقطة ولكن الحرص هو أمر طبيعي عند البشر. وفي واقع الحال فإن الحرص هو أحد الأمور التي تمكر فيها الديناميكية بالمجتمعات، فكثرة الأموال في المجتمع سيجعل المجتمع أكثر حرصا للمحافظة عليها وشهرة الأعلام ستجعلهم أكثر حرصا للمحافظة على هذه الشهرة. وكانت إحدى كلمات نابليون (والتي لم يتقيد بها): من يحرص على المجد يفقده. وهذا ما حدث مع عبد الله بن مسعود وهو حرصه على الدين جعله يتشدد في الأمور.

وهناك وجهة نظر واضحة للمؤلف وهي أن الإسلام ليس كباقي العلوم والثقافات. فالإسلام جاء من رب العباد وضع الله أحكامه وجعل في هذه الأحكام ما يحافظ عليها.

وهنا نقطة جوهرية يجب الانتباه لها وهي أنه هناك فرق واضح بين أحكام الشرع وأحكام القانون. فهناك مصطلح مرتبط بأحكام القانون وهو "روح النص". والمقصود بهذا المصطلح هو المعنى الذي أراده واضع القانون عندما كتبه. وقد يحدث الخلاف بين الناس فيما يتعلق بالتعارض بين نص القانون وروح النص وتقوم محكمة التمييز بفض هذا الخلاف.

ولكن لا يوجد روح للنص في الإسلام . وإنما يوجد ظاهر النص ومفهوم النص. ويأتي ظاهر النص من المعنى اللغوي الحرفي للنص ويأتي مفهوم النص من القرائن وربط الأحاديث والنصوص بعضها ببعض.

ولهذا السبب فإن قيام البعض بالنظر إلى الأحاديث المتعلقة بتحريم الذهب والحرير على الرجال و الاستنتاج أن روح النص في هذه الأحاديث هو الزهد عن متع الدنيا ويقومون بتحريم الألماس والبلاتين والأحجار الكريمة هو خطأ شديد.

وكذلك فإن قيام الناس بمط الأحكام الشرعية أو خلق قواعد وفلسفات بهدف حماية "روح الإسلام " هو مضرة ليس فيها خير. وعند المؤلف الحجة في ذلك فقد قال الرسول عليه السلام: "عليكم هديا قاصدا فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه" رواه أحمد في باقي مسند الأنصار. وقال عليه السلام: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق" رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

ولهذا السبب فإن حرص هاجر عليها السلام هو أمر مقبول لأنها حرصت على أمر من أمور الدنيا وهو المحافظة على الماء. ولكن تصرف سيدنا عبد الله بن مسعود لم يكن مناسبا؛ وذلك لأن أحكام الإسلام هي أمر الله وليست للمسلمين. فمسئولية المسلمين هي الحرص على تطبيق الأحكام والحرص على نشر الدين ولكن من الخطأ قيامهم بالحرص على روح الإسلام لأن الإسلام ليس فيه روح وجسد وإنما هو كل لا يتجزأ.

واعتمادا على ما سبق فإن قيام المتشددين بالحرص على روح الإسلام ومحاولة حمايته من التشكيك هو أمر خاطئ تماما؛ فقد أكمل الله هذا الدين ولا يحق لأحد أن يقوم بوضع التقييد فيه على هواه. فالعلماء مسئولون عن تطبيق الدين وشرحه وتعليمه ولكن هذا الدين ليس ملكهم يفعلون فيه ما يريدون.

ولهذا السبب فإن وجهة نظر المؤلف أن "تحري الصدق" هو الأولى اتباعه وقد قال الله تعالى ﴿...وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. ولهذا السبب فلا يحق لأحد أبدا منع أو تقييد الأبحاث ذات النية الصادقة.

❖ نظرة إلى الاستنكارات

انتبه لهذه العبارات:

* هل معقول أن يكون أبو بكر أرحم على المسلمين من الرسول عليه السلام؟ وهل معقول أن يقوم أبو بكر بالاستخلاف رحمة بالمسلمين ولا يفعلها الرسول عليه السلام؟

* هل معقول أن يكون الرسول عليه السلام في الجنة والنعيم وأن يكون جيرانه (أبو بكر وعمر) في النار والجحيم؟

* هل يمكن لرجل (عثمان بن عفان) أن يعطيه الرسول ابنتيه، بعد أن توفيت الأولى أعطاه الثانية. هل يمكن لهذا الرجل أن يكون من أهل النار؟

* لو أن الإسلام هو الدين الحق فهل معقول أن يسمح الرب الجبار العزيز لأحفاد رسوله وأهل بيت رسوله أن يتم ذبحهم واحدا تلو الآخر ظلما وعدوانا؟

الهدف من هذه المقالة هو التنبيه على أن الاستنكار ليس حجة وإنما قد يكون تنبيها. وعدم القدرة على إجابة الاستنكار لا يعني أبدا أن رأي الشخص خطأ وإنما يعني، وبكل بساطة، أن الجواب غير حاضر للرجل. وأما خطأ أو صواب الرأي فيعتمد على الأدلة التي يستند إليها الرأي. فإن كانت الأدلة راسخة فالرأي راسخ وإن كانت الأدلة ظنية فالرأي ظني وإن كانت الأدلة واهية فالرأي واهٍ.

وأما الاستنكار نفسه فقد يتم استخدامه للتنبيه والتثبيت. ومثال ذلك حديث عن أبي أمامة قال "أن فتى شابا أتي النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه فقال: أدنه فدنا منه قريبا قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي.

فأسلوب الاستنكار هنا جاء للتنبيه والتثبيت ولكنك لا تستطيع أن تستخدم هذا الأسلوب لاستخراج الأحكام الشرعية؛ وذلك لأن الأحكام الشرعية لا تستنبط من بغض أو رغبة الناس بها وإنما يتم استنباطها من النصوص الشرعية.

والنقطة الرئيسية هنا أن عدم قدرتنا على الإجابة على الاستنكارات لا يعني أن رأينا خاطئ وقدرتنا على الإجابة على هذه الاستنكارات لا يعني أن رأينا صحيح. وإنما خطأ أو صواب الرأي يعتمد تماما على الأدلة التي يستند عليها هذا الرأي.

وأما بالنسبة إلى الاستنكارات السابقة فإن الاستنكار الأول قد تمت الإجابة عنه سابقا. وأما الثاني والثالث فإن أبا بكر وعمر وعثمان هم من أصحاب الجنة لأحاديث واضحة تتحدث عن ذلك. وأما الرابع فلا يوجد للمؤلف إجابة واضحة له ولكن أحد العِبَر من هذه القصة هي ضرورة الانتباه لمكر الأقدار لأنه إن كان لأحد من غير المرسلين أن ينجو من مكر الأقدار لكان الأولى هو سيدنا الحسين.

ولكن انتبه هنا... إن أحد أكثر السهام استعمالا في الدعاية السوداء هو الاستنكارات. فعندما مات عمار بن ياسر قال معاوية مستنكرا: " أو نحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا" رواه أحمد.

وقال الأمريكان والإنجليز في تبريرهم للقتلى المدنيين في العراق وأفغانستان إن هذا هو ذنب الإرهابيين إذ إنهم يستخدمون المدنيين دروعا بشرية.

وعندما قتلت الشرطة الإنجليزية منيزيز البرازيلي (Jean Charles De Menezes) فإنه جاءت تعليقات في الصحافة بأن المسئولين الحقيقيين لهذه الجريمة إنما هم الإرهابيون وليس الشرطة الإنجليزية.

وقد تعرض حزب الله وحماس في عدوان ٢٠٠٦ وحرب غزة لاستنكارات شنيعة كان من بينها السخرية التي قالها أحدهم بأن حزب الله ربما نجح في أسر جنديين وربما يستطيع أن يفك أسراه ولكنه تسبب بمقتل ١٠٠٠ مدني وخسائر بمئات الملايين من الدولارات. وهذا هو استنكار غير مباشر وحاله يقول: أليس هذا جنوناً!

وهناك أسلوبان لمواجهة هذا النوع من الاستنكارات:

* أسلوب حزب الله وهو ترك هذه الاستنكارات تموت لوحدها وتنقلب بقوة الظروف إلى مدح وتقدير للحزب وانتقاد للظالمين.

* رد الاستنكار اللاذع بالجواب اللاذع.

لنقم بدراسة الأسلوب الثاني وليكن عن الاستنكار الذي تعرض له حزب الله:

هل ما فعله حزب الله حق أم باطل؟

إن الضعيف لا يمكنه أن يقوى وينتصر في خطوة واحدة، كما أنه لا يستطيع أن يقوى وسط الظروف المعادية دون أن يتعرض للخدوش والجروح. وقد حاربت روما هانيبال مدة ١٦ سنة وانهزمت منه في عشرات المعارك ومات منها مئات الألوف من الرجال ولكنها في النهاية تعلمت منه الأسرار واستطاعت في النهاية الانتصار عليه وتدمير دولته. وكذلك فقد مات أكثر من مليون مقاوم في الجزائر من أجل الاستقلال وكذلك مات أكثر من ثلاثة ملايين مقاوم في فيتنام من أجل الاستقلال. وقد كانت إنجلترا وأمريكا تساند المقاومة ضد ألمانيا النازية وكان النازيون يقومون بإبادة قرى بأكملها انتقاما من المقاومة ولم يتم اتهام الإنجليز والأمريكان بأنهم السبب في إبادة هذه القرى.

ولكن انتبه هنا... الأسلوب السابق هو أسلوب نقاش فلسفي للرد على استنكارات لاذعة. وهذا الأسلوب لن ينجح لأن الذين يقومون بالاستنكار لا يهتمون بالحق ولا بالفلسفة وإنما يهتمون بتشتيت جهود أعدائهم والمناكفة بهم. وكذلك فإن الذي سيبقى في ذاكرة الناس ليس الجواب الفلسفي الطويل وإنما الاستنكار اللاذع القصير.

ولهذا السبب فإن الحوار الفلسفي لا ينجح في الرد على خبيث الاستنكارات وإنما خبيث الاستنكارات بحاجة إلى لاذع الأجوبة. وفي كثير من الأحيان فإن العلاج يأتي من جنس المشكلة ولاذع الأجوبة يأتي من الاستنكار نفسه.

مثال ذلك هو الرد المشهور لعلي بن أبى طالب على استنكار معاوية: "إذاً رسول الله هو الذي قتل حمزة وألقاه بين رماح المشركين".

وبالإمكان استخدام مثل هذا الرد ضد الاستنكارات التي قيلت ضد حزب الله وحماس:

* هل الرسول هو السبب في قتل أهل عمار بن ياسر في مكة؟
* هل الرسول هو السبب في عذاب الكثير من الصحابة في مكة؟
* هل موسى عليه السلام هو السبب في صلب وقطع وقتل السحرة أم فرعون؟
* وهل المقاومة الجزائرية هي السبب في موت المليون شهيد أم فرنسا؟

وكذلك قول الأمريكان والإنجليز إن طالبان مذنبة باستخدام المدنيين دروعا بشرية. والجواب هو: هل كان هتلر مصيبا في مسح القرى بأكملها لضرب المقاومة الفرنسية؟

وبالنسبة إلى قول باراك أوباما في دعوته لفتح صفحة جديدة من الاحترام المتبادل فإن الجواب هو: لنتساوى ونستد وبعدها نفتح تلك الصفحة.

وبالنسبة لقول أحدهم إن الخير والحق هو في المسامحة والمغفرة ونسيان الماضي. فإن الجواب هو: دعونا نتساوى ونستد وبعدها قوموا أنتم بمسامحتنا.

وبالنسبة إلى ساركوزي في قوله إن الأبناء لا يمكنهم أن يعتذروا عما فعله الآباء فإن الجواب هو: وكذلك أحفادنا فهم لا يمكنهم أن يعتذروا عما سيفعله أبناؤنا.

وكذلك عندما قامت إنجلترا وأمريكا باتهام إيران أنها محور الشر فإنه كان على إيران أن تصف إنجلترا وأمريكا بأنهم أكتاف الشر، نسبة إلى قول توني بلير أنهم سيقاتلون كتفا إلى كتف مع أمريكا.

على أية حال فإنه حتى وإن لم يكن بالاستطاعة الرد على الاستنكارات فإن عدم جوابها لا يعني أن رأينا صحيح أو أن رأينا خطأ وإنما يعني أنه لا يحضرنا الجواب. وأما الرأي فإنه يعتمد تماما على الأدلة التي يستند عليها ذلك الرأي.

وللأمانة فإن أحد أفكار هذه المقالة قد جاءت من تعليق ساخن لعبد الباري عطوان في قناة الجزيرة في رده على الاستنكارات الموجهة إلى حماس في حرب غزة. وكان أحد أجوبته هو التذكير بالمقاومة الجزائرية.